١٩- كتاب الاستغفار

٣٧١- باب الأمر بالاستغفار وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّات﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٥- ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (١٨٧١)

١٨٧١- وعن الأَغَرِّ المزني رضي الله عنه: أنَّ رسُول اللهِ ﷺ قال: ((**إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

الأغر بن يسار المُزَنيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤).

غريب الألفاظ:

ليغان: أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر[2].

---

(١) برقم ٢٧٠٢/٤١.

(٢) النهاية في (غ و ن).

الشرح الأدبي

إن المسلم دائمًا في حاجة إلى الدعاء وطلب المغفرة، فالله سبحانه وتعالى غافر الذنب، وقابل التوب، وهو شديد العقاب، والاستغفار طلب المغفرة مع بذل الجهد في الالتزام بالطاعة، والتصدي لكل إغواءات الشيطان، والوقوف في وجه الرغبات والشهوات، ولذلك تجيء دائمًا مادة: (الاستغفار) حيث السين والتاء الزائدتان، وزيادة المبني تدل على زيادة المعني، والأمر دائمًا في القرآن يأتي بالاستغفار، للإيحاء بالتوبة النصوح، والإقلاع عن المعاصي والعزم على عدم العودة إلى الآثام، والندم على ما فات.

وحين تتأمل ما يشع به الحديث الشريف من دلالات وجماليات أسلوبية تدرك أن الاستغفار فيه ليس ناشئًا عن تقصير أو عن ذنوب لأن عصمة رسول الله ﷺ تحول دون ذلك، فاستغفار رسول الله ﷺ لإظهار العبودية لله تعالى والشكر لما أولاه.

والحديث يتكون من جملتين، وكل منهما تبدأ بالتأكيد، حيث تجيء إن في صدارة كل جملة، حيث يقول في الجملة الأولى: "إنه ليُغَان على قلبي"، وحول تفسير دلالة (الغَيْن) يقول اللغويون: غَيَن على قلبه غَيْنًا، أي غطى عليه وألبس أو غشي عليه، أو أحاط به الرَيْن، وهذه الدلالات لا تتناسب مع مقام رسول الله ﷺ واستيقاظه الدائم لذكر الله عز وجل، وقال العلماء: هي غُيُون أنوار لا غُيُون أغيار، وقال عياض: المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، وقيل هي: حالة خشية وإعظام والاستغفار شكرها، وقال بعض الصالحين في تفسير الغَيْن الذي يعتري قلب رسول الله ﷺ: لا يعتقد أن الغَيْن حالة نقص، بل هو كمال أو تتمة كمال.

وتبدأ الجملة الثانية بالتأكيد "بإن" المقترنة بياء المتكلم (إني) والمتكلم هو رسول الله ﷺ ويزداد التأكيد بوجود اللام في بداية الفعل (لأستغفر) والعدد مائة يوحي بكثرة الاستغفار وقوله (في اليوم) إشارة إلى تَكْرَار الاستغفار في كل يوم، اقتداء برسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الغرور.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على كثرة الاستغفار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لأمته أهمية وفضل الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الغرور:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في كثرة استغفار النبي ﷺ: "إنه ليُغَان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، فلقد كان ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبه، وحسبنا أن الله تعالى خيره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا[1].

فالتواضع يمكّن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس؛ فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير، والرئيس والمرءوس، والغني والفقير، والضعيف والقوي ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع، فمن التواضع: طيب الحديث والتبسم في وجه الناس والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم وتهدئة روعهم إذا فزعوا[2]، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[4]، فتواضع الداعية يجعله محبوبًا في قومه وبيئته، ذا أثر فعال بينهم، وقَوَامُه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل يجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله)[5].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، الإمام القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ٣٠١/٢.

(٢) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ص ٨١ - ٨٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

إن التواضع من أخلاق المؤمنين الصادقين، أما التكبر والخيلاء فهو من صفات الكافرين المنافقين، ومن يتأمل الآيات والأحاديث الواردة في الكبر وتحريمه يرى أن من شأنها أن تجعل المسلم ذا القلب الحي، والإيمان الصادق، والضمير اليقظ يقفُ صاغرًا أمام الله وجلاله، ويندم خاشعًا ذليلاً على كل ما فرط منه من كِبر أو عُجْب أو خُيلاء، ويضرع إلى الله تائبًا منيبًا راجيًا منه أن يرحم ضعفه، ويشفي من مرض الكبر نفسه، ويرزقه التواضع للحق، والتواضع للخلق، وأن ينير له طريق الهدى، ويرده عن أسباب الهلاك والردى.

ومن هذه الآيات والأحاديث الدالة على ذم التكبر والمتكبرين قول الله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3] والمراد بالمرح في الآية: الاختيال والتكبر. وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[7]، وروي عن عبدالله

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨، ١٩.

(٤) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٧، ٣٨.

ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إنَّ الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال: الكبر بَطَرُ الحق وغَمْط الناس))[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((احتجت الجنة والنار فقالت النار فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضى الله بينهما، إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما علي ملؤها))[٢].

ومظاهر الكبر وآثاره في الناس كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وهي تختلف من فرد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن عصر لعصر، فالولد الذي يأنف أن يسمع لأبيه ويخضع له، لأنه تعلم أكثر من أبيه هو إنسان عاق بسبب التكبر على والده، ومعرض للوعيد الشديد.

والمرأة التي تأنف أن تخضع لزوجها وتطيعه وتلين له، بسبب أنها موظفة مثله، أو أنها غنية بمالها أو بجمالها تُعتبر متكبرة على زوجها وعاصية له، يُخشى عليها غضب الجبار؛ والطالب الذي يتعالى على أستاذه بسبب غناه، أو منصب أبيه هو متكبر دنيء النفس.

والرئيس الذي ينظر إلى مرؤوسيه نظرة احتقار، ويعاملهم كعبيد هو إنسان متكبر لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

والمعلِّم الذي إن علَّم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم، وامتن عليهم، ينتظر من الطلاب والناس أن ينحنوا له ويقبلوا يديه، ويحملوا حذاءه، هو عالم ركبه الكبر فصار أجهلُ الناس خيرًا منه.

والمدير والمسؤول الذي يركب رأسه متجهًا في عمله إلى الأخطاء الضارة بالأمة، وإذا نُصح أعرض وسخط على من نصحه، هو إنسان دمر الكبر جانب الخير فيه، حتى صار لا يستحق الورق الذي يوقع عليه اسمه.

والذي يُوعَظ فتأخذه العزة، أو يمر على الناس فيغضب لأنهم لم يقوموا له، ولم

---

(١) أخرجه مسلم ٤٠٩١، والترمذي ١٩٩٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٤٧.

يبادروه بالسلام؛ أو يدخل مكانًا عامًا فيأنف منه لأن الموجودين ليسوا على شاكلته، أو يأمر أمرًا فيكيل الشتائم للمأمورين لأنهم لم يسرعوا في تنفيذ أمره، كل هؤلاء متكبرون، محرومون من أبرز صفات المؤمنين وهي التواضع[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على كثرة الاستغفار:

يدل على ذلك صريح الحديث: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: ربِّ اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم)، لذا فينبغي على المسلم الإكثار من الاستغفار فهذا هو النبي ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بنا، ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب لا يهتم الواحد منا بما فعل، ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا وقليل الاستغفار، والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله ﷺ، ويكثر من الاستغفار[٢]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٤]، "وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لأمته أهمية وفضل الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى:

ذلك ما تدل عليه الأحاديث من بيان قوله وفعله ﷺ وإكثاره من الاستغفار، فبيّن

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبد الله بن محمد الحماد، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢/٤٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٣٩١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص ٦٠٩.

أن الاستغفار واجب لما يصيب الإنسان من فتور وغيره [١]، فقال ﷺ: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)، وإذا كان هذا هو سبب استغفار رسول الله ﷺ فنحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج"[٢]، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٤].

كما جاء في الحديث صيغة من صيغ الاستغفار والتوبة، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، قال ابن علان: "فيه إيماء إلى أن من أدب الدعاء أن يختم الداعي دعاءه بما يناسبه من أسماء الله تعالى، فإذا سأل المغفرة والرحمة قال: إنك أنت التواب الرحيم، وإذا سأل جزاء دنيويًا أو أخرويًا قال: إنك أنت الجواد الكريم"[٥].

وفي استغفاره ﷺ في المجالس والإكثار منه، دليل على أهمية الاستغفار وفضله في المجالس، وغيره من الأحوال من باب أولى، فلما كان الإنسان ضعيفًا، وكان الشيطان حريصًا على إضلاله والسعي دومًا إلى إغوائه، والنيل منه عن طريق اقترافه للسيئات، فكان منه أن تريص للمسلمين في مجالسهم وأنديتهم، ولما كان الله رءوفًا بعباده شرع لهم على لسان نبيهم ﷺ كلمات يقولونها تكفر عنهم ما علق بهم من أدران هذه المجالس[٦]، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ))[٧]، وعند الترمذي: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ١٨٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٩٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) سورة التحريم، آية: ٨.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٤٥.

(٦) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١١٢.

(٧) أخرجه أحمد ٤٩٤/٢، رقم ١٠٤١٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم (مسند أحمد ٢٦١/١٦).

وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))[١].

لقد أمر الله بالمبادرة بالتوبة والاستغفار، فقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[٣] والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو للأمة من باب الأولى.

وبين الله تبارك وتعالى أن الاستغفار من صفات وأفعال عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٦]. وقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٧].

والعجيب أن كثيرًا من نصوص الحث على الاستغفار في الكتاب والسنة تكون مصحوبة بالدعوة إلى توحيد الخالق والاعتراف بألوهيته والإذعان لربوبيته، وهي بذلك إشارة بديعة إلى أن أعظم سبب بل أول سبب لحصول المغفرة هو التوحيد الخالص، وأن جميع الأسباب الأخرى لا تغني شيئًا إذا فقد هذا الأصل العظيم، فهو أساس الدين،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٦).

(٢) سورة غافر، آية: ٥٥.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٧) سورة الذاريات، آية: ١٧، ١٨.

وأصل العبادة، وعنوان الملة، وإذا رسخ في قلب العبد وانغرس في وجدانه فقد أهّل نفسه لنيل مغفرة المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(١)].

فتأمل معي عددًا من النصوص الآمرة بالاستغفار لترى ذلك المعنى الذي أشرت لك إليه، وذكّرت نفسي وإياك بما يعنيه:

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[(٢)].

وتأمل قوله ﷺ: ((من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن قد فر من الزحف))[(٣)].

وتأمل سيد الاستغفار، وكيف بدأ بإعلان التوحيد الخالص لله تعالى ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعتمك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))[(٤)].

وتأمل كفارة المجلس: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[(٥)].

وهكذا يتجلى هذا المزج الرائع، والربط المانع بين الإقرار بالألوهية والاعتراف بالوحدانية، وبين طلب المغفرة من الغفور الرحيم.

إن الذنب سمة العبد، وإن العفو صفة الرب عز وجل، وقد بين تعالى أن المتقين قد يقع منهم الذنب، ويحدث منهم الزلل ولكنهم لا يصرون على الخطأ، ولا يقيمون على المعصية، وقد امتدحهم جل وعلا بذلك فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) أخرجه أبو داود ١٥١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٣).

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣.

عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1][2].

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٦.

(٢) كتاب: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٥٨٦، ٥٨٧.

الحديث رقم (١٨٧٢)

١٨٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمعتُ رَسُول اللهِ ﷺ، يقولُ: ((وَاللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَومِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهو السراج المنير، والبشير النذير، وهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، واستغفاره شكر لله على النعم التي حباها إياه، وعلى الفضل الذي أولاه وقد قال حينما سئل عن كثرة استغفاره!! (أفلا أكون عبدًا شكورًا) وهذا الحديث نبراس يضيء للطائعين طريقهم، ويفتح للعاصين سُبل النجاة من حبائل الشيطان، ولذلك يبدأ الحديث بالقَسَم والتأكيد، (والله إني لأستغفر الله).

وهذا القَسَم ليس لتوقع الإنكار من السامع لهذا الخبر أو للتشكك فيه فكل مسلم له يقين كامل بصدق النبي ﷺ فيما يقوله أو يخبر عنه، ولكن القسم لتأكيد الفعل، وللإيماء إلى كل مقصر أو مذنب بأن يستغفر الله فالله غفور رحيم، وهو يغفر الذنوب جميعًا، وهو ينادي الذين أسرفوا على أنفسهم: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٢].

ولذلك جاءت الجملة الثانية معطوفة على جملة خبر (إن) حيث يقول (وأتوب إليه) فالتصريح بلفظ (أتوب إليه) فيه إشارة إلى كل مذنب أن يتوب، فالاستغفار بلا توبة مع التمادي في الذنب كالتلاعب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه،

---

(١) برقم ٦٣٠٧، وتقدم برقم ١٣.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

وصيغة المضارع تفصح عن استمرار الاستغفار، وقوله: (أتوب إليه) ليس إسهابًا ولكنه من نسيج الكلام الذي لا تتم الفائدة إلا به، وقوله: (أكثر من سبعين مرة) كناية عن الكثرة، فالعدد ليس المقصود منه التحديد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣).

الحديث رقم (١٨٧٣)

١٨٧٣- وعنه ﷺ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن للاستغفار أثرًا جميلاً في حياة كل مسلم يعمر قلبه بسكينة الإيمان، فهو يفيئ إلى ظلال التوبة والأمان، ويفر من هجير المعصية والخسران، وهو في هذا التحول ينتصر لربه الواحد الديان، ويعلن هزيمة الشيطان، وما ذلك إلا لأنه استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، فالاستغفار برهان اليقظة الإيمانية ودليل الصحوة القلبية.

ولذلك يرغب رسول الله ﷺ في الاستغفار، لأنه منهج المسلم الصحيح، وللترغيب في هذا الحديث وسائل أسلوبية متعددة، تفصح عنها لغة الحديث الشريف:

ولنتأمل بداية الحديث حيث يبدأ بالقَسَم في قوله: (والذي نفسي بيده) أي أقسم بالله الذي بيده مصائر الأنفس، والذي خلق الموت والحياة، والقسم هنا يرشد إلى أهمية المقسم عليه.

وأسلوب الشرط في جملة المقسم عليه، هو الصيغة اللُغَوية الملائمة لمضمون الحديث الشريف.

واختيار أداة الشرط (لو) فيه إشارة إلى أن الذنب من سمات السلوك البشري، فابن آدم ليس معصومًا فالأداة (لو) أداة امتناع لامتناع، فقد امتنع جواب الشرط: وهو أن الله تعالى يذهب بالناس أي يهلكهم لامتناع انتفاء الذنوب، فكل ابن آدم خطاء، وخير

(١) برقم ٢٧٤٩/١١، وتقدم برقم ٤٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٩.

الخطائين التوابون، فتأمل البلاغة في اختيار أداة الشرط،وفعل الشرط مضارع يفيد التجدد وتكرار الحدث وهو الذنب، فكل جيل له نقائصه ومعاصيه، وهذا يستلزم الاستغفار الدائم، وجواب الشرط في صيغة الماضي (لذهب الله بكم) لأن حكم الله نافذ، وقضاؤه محكم مبرم، والخطاب في الحديث للمسلمين، ولكنه لم يحدد صفتهم تنزيهًا للمسلم عن قصدية الذنب، وتعمد المخالفة، لأن الذنب لا يرتكب عمدًا مع سبق الإصرار، وإنما يكون نتيجة للغفلة أو الجهل، أو الضعف البشري أمام نزغات الشياطين،وعدم التحديد فيه إشارة إلى أن ارتكاب الذنوب سمة للسلوك البشري في كل الأمم، والتوبة من سيماء الصالحين في كل زمان ومكان، ولذلك جاءت صفات قوله: يقوم: في إطار الأفعال المضارعة المتتابعة: (يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم)والعطف بالفاء يرشد إلى أن المسلم عليه بالإسراع إلى التوبة وإلى الفوز بالمغفرة، والحديث - كما قال العلماء: تحريض على التوبة والإقلاع عن الذنب، وليس ترغيبًا في اقتراف المعاصي، ولكنه حث على الاستغفار والإنابة إلى طريق الإيمان، فهو طريق النجاة، والفوز بالجنة ونعيمها المقيم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٢٢).

الحديث رقم (١٨٧٤)

١٨٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كُنَّا نَعُدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المَجْلِسِ الواحدِ مئةَ مَرَّةٍ: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)). رواه أبو داود والترمذي[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

إن مجالس رسول الله ﷺ يعمرها قلبه المتصل بجلال خالقه، ويضيئها الذكر الحكيم الذي أنزل على رسول الله ﷺ بحقائقه وطرائقه، وهذه المجالس العامرة بالذكر والاستغفار كانت مضمارًا للاقتداء، وميدانًا للتعلم والتنافس بين الصحابة الأخيار، وهذه الشهادة الموثقة التي ينقلها ابن عمر تذكرة للأجيال، وعبرة واقتداء برسول الله ﷺ في الأفعال والأقوال، تعد درسًا عمليًا لكل مسلم ومسلمة على مر العصور، وكرّ الدهور، فهذا رسول الله ﷺ الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب إليه في المجلس الواحد مائة مرة، وهذا العدد كناية عن الكثرة، وقوله: (كُنَّا) يفيد أن هذه الشهادة ليست فردية، ولكنها جماعية حيث كان جميع الصحابة في المجلس يسمعون دعاء رسول الله ﷺ، وقوله: (نعد) في صيغة المضارع والجمع: للدلالة على انتباه الصحابة. وحرصهم على رصد كل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله حتى يقتدوا بها، ولنتأمل صيغة الدعاء: (رب اغفر لي وتب علي) حيث حذف حرف النداء إيماء إلى القرب وإيحاء بمدلول الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ..﴾[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥١٦، والترمذي ٣٤٣٤. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٩٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

والدعاء بلفظ (رب) يوحي بالرعاية والتربية والتعهد... وتكرار قوله: (وتب علي) بعد اغفر لي لمزيد من الرجاء والإلحاح في الدعاء، والطباق بين قوله (لي) (وعلي) للإحاطة والشمول: لغفرانه هنا زيادة في الخضوع لله عز وجل، وزيادة في الشكر، والتوبة عطاء من الله ومنة وتفضل، وقوله: (علي) يفيد الاستعلاء.. والعفو، ومَحْو ما قدّم العبد من ذنوب، وفي مقام توبة الرسول ﷺ يكون الشكر والأدب مع الله عز وجل، ولذلك جاء ختام الحديث الشريف مناسبًا لمضمونه وبدايته، وقال العلماء: من أدب الدعاء أن يختم الداعي دعاءه بما يناسبه من أسماء الله تعالى، وقوله: (التواب الرحيم) يناسب الدعاء بالمغفرة والتوبة، والتأكيد فإن كاف الخطاب (إنك) مع ضمير الخطاب (أنت) والمقصود به الله -عز وجل- يجعل المغفرة والتوبة واقعًا جميلاً في حياة كل مسلم مستغفر أواب، وصيغة المبالغة في قوله: (التواب الرحيم) للدلالة على كثرة عدد المغفور لهم، وكذلك كثرة عدد الذنوب المغفورة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٢) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٨٧٥)

١٨٧٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)) رواه أبو داود[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

فَرَجًا: انكشاف الغم[٢].

الشرح الأدبي

ما أجمل هذه الدعوة المخلصة الصادقة من رسول الله ﷺ إلى أمته بالإكثار من الاستغفار، آناء الليل وأطراف النهار، ورسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للمؤمن الحقيق، وإنه كان دائمًا يذكر ربه في كل طرفة عين، متجهًا إليه مع كل خفقة قلب فهو يسبحه ويدعوه إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا نام، وإذا استيقظ، وإذا سافر، وإذا رحل، وإذا أكل، وإذا شرب، وإذا سمع الرعد، وإذا نزل المطر، وإذا هب الريح، وإذا أشرقت الشمس، وإذا بزغ الهلال، وإذا مرض، وإذا عوفي، وإذا أمن، وله في كل ذلك مأثورات رائعات مشهورات ترددها كتب الصحاح، وهي من الأدب الصميم لب اللباب[٣].

وهذا الاستغفار الدائم من رسول الله ﷺ، وذكر الله في كل لحظة، واستحضار عظمته، والطمع في مغفرته ورحمته يتضوأ به، ويشرحه بمعانيه

(١) برقم ١٥١٨. قال الحاكم ٢٦٢/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ في الأمالي المطلقة ٢٥: هذا حديث حسنٌ غريب، أخرجه أحمد والنسائي في السنن الكبرى، وأبو داود وابن ماجه، وأخرجه الحاكم، وإخراج النسائي له مما يقوي أمره.

(٢) الوسيط في (ف ر ج).

(٣) انظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، ص ٢٠١.

قوله ﷺ: (من لزم الاستغفار) أي من كان الاستغفار ديدنه، ومسلكه في كل أوقات حياته، كما كان رسول الله ﷺ يدعو ربه بالمغفرة والتوبة في المجلس الواحد مائة مرة، فكل السياقات السابقة هي تطبيق وتنفيذ لقول رسول الله ﷺ: (من لزم الاستغفار).

والحديث في بنائه اللُغوي يعد جملة واحدة كبرى، صيغت في أسلوب الشرط، والأداة: (مَنْ) وهي للعاقل، والجزاء من جنس العمل وكذلك جواب الشرط يتحقق لتحقق فعل الشرط، وهنا فعل الشرط: لزوم الاستغفار، فإذا تحقق في سلوك العبد المسلم، كانت المكافأة، وكان الجواب هو صلاح الدنيا، وصلاح الآخرة، وقال العلماء: ففيه أن نفع الاستغفار يعود بُحَوْز مطلوب الدارين، وأول ثمرة من ثمار الاستغفار هي: أن الله يجعل له من كل ضيقٍ مخرجًا، وقوله: (كل) يشير إلى أن الله ينجي الإنسان من الضيق الدنيوي والأخروي، وتأمل الطباق بين: ضيق ومخرج، فالضيق كلمة موجزة لكنها ترمز لكل حالات الكرب مهما تعددت ألوانها، وتغيرت مسمياتها، والمخرج هو تحول هذه الحالة إلى باب النجاة بفضل الاستغفار، حيث تركن النفس إلى السكينة، وتشيع فيها الطمأنينة وكلمة (مخرج) تشع بكثير من الدلالات وترمز إلى ما ينعم به المؤمن المحتسب الصبور الشكور.

وكذلك الطباق من الهم والفرج، فالهم نفسه يصبح هو باب الفرج أو هو الفرج نفسه، والهم والفرج كلمتان تموجان بكثير من الدلالات التي تعتري الإنسان في كل زمان ومكان، والبلاغة الإيجاز، والجملة الأخيرة هي الثمرة المرجوة، والمقام المبتغى، "ورزقه من حيث لا يحتسب"، فبعد النجاة من الضيق، وبعد تفريج الهم، تنهمر سحائب الرزق الوفير، وينعم في ظلها المؤمن المستغفر بعطاء المنان القدير، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

المضامين الدعوية(1)

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على لزوم الاستغفار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الاستغفار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الاستغفار ولزومه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على لزوم الاستغفار:

جاء ذلك في الحديث، ببيان فضل الاستغفار حثًا عليه، فقال ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب)، وقد جاءت النصوص في القرآن والسنة متضافرة على الحث على الاستغفار، بل آمرة على الاستغفار ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(2) وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(3). وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(4) وقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾(5) وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾(6) وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾(7).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا

---

(1) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق - ١٨٧٤- مع المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٧٥- .

(2) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(3) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(4) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

(5) سورة غافر، آية: ٥٥.

(6) سورة فصلت، آية: ٦.

(7) سورة محمد، آية: ١٩.

لَذَهَبَ اللّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ))[١]، ومدح الله المستغفرين فقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣]، ولقد كان رسول الله ﷺ في حياته مثلاً تطبيقيًا للدوام على الاستغفار.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))[٤]. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: ((رب اغفر لي وتب علي إن أنك التواب الرحيم))[٥].

وعن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال: ((إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحانه الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[٧] فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[٨]))[٩].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٤٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٧.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥١٦، وصححه ابن حبان (الإحسان ٩٢٧).

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٧) سورة النصر، آية: ١.

(٨) سورة النصر، الآيتان: ٢، ٣.

(٩) أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

وقال الحسن: "أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الاستغفار:

جاء ذلك في صريح الحديث، فقال ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فَرَجًا ورزقه من حيث لا يحتسب)، أي: من لزم الاستغفار عند صدور معصية وظهور بلية، ومن داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه، ولذا قال ﷺ: ((طُوبى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا))[٢]، جعل الله له من كل شدة ومحنة مخرجًا وطريقًا وسببًا يخرج به إلى سعة ومنحة، ومن كل غم يهمه خلاصًا، ورزقه حلالاً من حيث لا يحتسب، أي: من حيث لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله، والحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[٣]، كذا في المرقاة[٤]، فالاستغفار بصريح القرآن والسنة سبب لذهاب الهم والغم والحزن، كما أنه سبب لتيسير الأرزاق، وإنعام الله تعالى على المستغفرين بالرزق من البنين والأموال[٥].

ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يعدون للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قوله: "رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الرحيم" كما ذكر ذلك ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الاستغفار ولزومه:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة، الحث على الاستغفار ولزومه، لما فيه من العطاء الإلهي الذي لا ينفد في الدنيا والآخرة، كما جاء في صريح الحديث: (من لزم الاستغفار

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٣٨١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٩٦).

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ص ٦٨٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/٣٠٢.

جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب)، أما في الدنيا فإن الاستغفار سبب لـ:

أ. استجلاب الرحمة ومنع العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، قال القرطبي: "قال المدائني عن بعض العلماء: كان رجل من الأعراب في زمن النبي ﷺ مسرفًا على نفسه، لم يكن يتحرج فلما أن توفي النبي ﷺ لبس الصوف ورجع عما كان عليه، وأظهر الدين والنسك، فقيل له: لو فعلت هذا والنبي ﷺ حي لفرح بك، قال: كان لي أمانان فمضى واحد وبقي الآخر، قال: تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، فهذا أمان، والثاني: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾"[2]، وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

ب. جلب للسرور وانشراح الصدر وإذهاب للهموم وتفريج للكربات وإزالة للضيق كما جاء في الحديث: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب).

جـ. سبب لسعة الأرزاق وكثرة الأولاد والتمكين في الأرض، فذكر ذلك هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[4]، وقال على لسان محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[5]، وعن نوح عليه السلام قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٩٩/٨/٤.

(٣) سورة النمل، آية: ٤٦.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) سورة هود، آية: ٣.

غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[1].

قال القرطبي: "في هذه الآية والتي في سورة هود دليل على أن الاستغفار يُستَنْزَل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: (استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا)، وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له استغفر الله، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئًا، إن الله تعالى قال في سورة نوح: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2]"[3].

"أما في الآخرة فإن الاستغفار سبب لغفران الذنوب، ولو عظمت وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب، وقيل: ما انتهى البصر منها"[4].

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5]، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٤٠٧/٢.

(٤) المرجع السابق ٤٠٧/٢.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.

كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكِ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[1].

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠، وصححه الألباني (الصحيحة ١٢٧، ١٢٨).

الحديث رقم (١٨٧٦)

١٨٧٦- وعن ابن مسعود[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((مَنْ قَالَ: أسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأتُوبُ إلَيهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وإنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ))** رواه أبو داود والترمذي[٢]. والحاكم[٣]، وقال: (حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

فر من الزحف: فرّ من الجهاد ولقاء العدو في الحرب، والزَّحف: الجيش يزحفون إلى العدو، أي: يمشون[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف ندرك أن أسلوب الترغيب هو سر جمال المبنى والمعنى، فالحديث يتكون من مقدمة شرطية، ونتيجة تعد ثمرة لهذا الشرط، وجوابًا له، ثم يُخْتم الحديث بجملة شرطية لمزيد من الترغيب في التوبة والاستغفار، ويبدأ الحديث بقوله: (من قال) ومقول القول: هو هذه الجملة المُحمَّلة بالدلالات والمعاني الوضيئة، حيث يستغفر المسلم ربه، ومن أسمائه عز وجل أنه (الحي القيوم) وهو: (لا إله إلا هو) فالاستغفار لا يكون إلا له، لأنه غافر الذنب وقابل

---

(١) الصواب: عن زيد مولى النبي ﷺ، وأما عن ابن مسعود، فقد أخرجه الحاكم. فقد انتقل نظر المؤلف من زيد إلى ابن مسعود، ومصدر النقل هو الترغيب للمنذري.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥١٧، والترمذي ٣٥٧٧ عن زيد مولى النبي ﷺ. قال المنذري في الترغيب ٤٦٨/٢ رقم ٢٤١٤: إسناده جيد متصل. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤١٤.

(٣) المستدرك ٥١١/١ من حديث ابن مسعود، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي ١١٧/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤١٤.

(٤) النهاية في (ز ح ف).

التوبة، واسم الموصول (الذي) لكمال التعريف، والدلالة على التميز أكمل تمييز، وأسلوب القصر في قوله: (لا إله إلا هو) يفيد قصر الألوهية على الله عز وجل فلا إله سواه، والحي في هذه الصيغة اللغوية صفة مشبهة من الحياة وهي كما قال العلماء: تقتضي صحة اتصاف موصوفها بالصفات، والقيوم أي الدائم القائم بتدبير خلقه، وقدم الاستغفار على التوبة لأن الاستغفار مقدمة صحيحة للتوبة النصوح، وقد يستغفر الإنسان ولكن لا يواصل طريقه ولا يتوب ولذلك قيل: لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون كذبًا إن لم تفعل، بل قل: اللهم اغفر لي، وتب عليّ، والاستغفار في دلالته هو طلب المغفرة، إما باللسان أو بالقلب أو بهما معًا، ولذلك جاء جواب الشرط وهو: غفرت ذنوبه تتويجًا لهذا القول الذي يترجمه صاحبه إلى فعل التوبة بفضل توفيق الله له، واستجابة لدعائه، وبناء الفعل للمجهول يفصح عن أنه لن يغفر الذنوب إلا الله فحذف الفاعل للعلم به، ولكمال اتصافه بالمغفرة ومن أسمائه (الغفور الرحيم).

والجملة الأخيرة: تذييل وترغيب في الإقبال على التوبة، والإكثار من الاستغفار، وقد جاءت في صيغة الشرط والجواب، ولكن حُذف الجواب اختصارًا واستبشارًا بأن الله سيغفر له وإن كان الذنب في قمة الذنوب، وهو الفرار من الزحف، وقيل: المراد غفرت صغائر ذنوبه، وإن كان قد اقترف ما هو من الكبائر، وفي هذا تفصيل تفضل به السادة العلماء، والفقهاء والله يختص برحمته من يشاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قول: (استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغفار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على قول: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه):

لقد جاءت النصوص مبينة فضل الاستغفار والإكثار منه، وأنه سبيل لتفريج الهموم

وتوسيع الضيق وإدرار الرزق وعدم الاحتياج إلى الناس والسعادة في الآخرة، ويتجلى فضل الاستغفار في مواطن كثيرة خاصة بعد الوقوع في المعاصي، ولا يخفى أنه لابد من صدق العزم ومطابقة الباطن لقول الله، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[(١)](٢) وقد جاء مثل هذا المعنى في الحديث حيث بين رسول الله ﷺ أن قول المسلم: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)، سبب لغفران الذنوب وتكفير السيئات، فقال ﷺ: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، والمعنى: أن من قال ذلك صادقًا غفرت ذنوبه لذا ينبغي ألا يتلفظ الإنسان بذلك إلا إذا كان صادقًا، وألا يكون بين يدي الله كاذبًا، فإن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه[٣]، فإن الله وعد بالمغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على فعله[٤]، فإن الله سبحانه لا يعذب مستغفرًا تائبًا[٥]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاستغفار:

إن للاستغفار فوائد في الدنيا والآخرة أعظمها أنه سبب لمغفرة الذنوب، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، وقد تضافرت النصوص على مغفرة الله

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٨٤٢.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٥١٧.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٤٠٨.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم ١/٥٤٢.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

لمن استغفر، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[(١)]، وفي الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرِ لَكُمْ))[(٢)]، وفي الحديث جمع النبي ﷺ بين الاستغفار والتوبة فقال: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)، يقول ابن القيم: "وأما الاستغفار فهو نوعان مفرد ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[(٣)]، وقول صالح عليه السلام: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[(٤)]، والمقرون كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[(٥)]، وقول شعيب عليه السلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[(٦)]، فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله"[(٧)].

إن الاستغفار لا يستغني عنه إنسان، فما أحوج الإنسان لأن يستغفر لنفسه، وما أجمل به أن يستغفر للآخرين كما يجني الإنسان ثمرات استغفار الآخرين له، لقد جعل الله من مهام الملائكة حملة العرش ومن حوله يستغفرون للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا

---

(١) سورة نوح، آية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٣) سورة نوح، آية: ٢٠.

(٤) سورة النمل، آية: ٤٦.

(٥) سورة هود، آية: ٥٢.

(٦) سورة هود، آية: ٩٠.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٥٤٢/١ - ٥٤٤.

وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[١].

إن الاستغفار سِمةُ الأنبياء والمرسلين والصالحين، فهم ملازمون له، داعون إليه، حاضين غيرهم عليه وأولهم آدم وحواء عليهما السلام لما أزلهما الشيطان ووسوس لهما وحضهما على معصية ربهما بادرا بالتوبة والاستغفار، فقال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢].

وذلكم نوح عليه السلام صرح بدعوته قومه للاستغفار، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٣].

وهود عليه السلام يقول لقومه ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[٤] وموسى عليه السلام يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٥] ويونس عليه السلام ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦] وداود عليه السلام يقول الله في شأنه ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[٧].

---

(١) سورة غافر، الآيات: ٧-٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٣.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) سورة القصص، آية: ١٦.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٧) سورة ص، آية: ٢٤.

وكان الاستغفار من لوازم رسول الله ﷺ وكان كثيرًا ما يعلم أمته الاستغفار، فروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: ((يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم))[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهرًا، حيث رغّب النبي ﷺ في الاستغفار بمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، والترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وذلك لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، ومع أن الأصل في الترغيب أن يكون الجزاء في الآخرة فإنه يكون أيضًا بما يصيب المدعوين في الدنيا في حالة استجابتهم[٢]، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[٣]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٤].

إن العبد المسلم ليشعر بالسعادة الكبرى إذا ما التزم بشرع الله عز وجل وإن هذا الالتزام يدور بين أمر ونهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٥]، فمن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٣) سورة النور، آية: ٥٥.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

إن العبد المسلم المستقيم على شرع الله، إذا ما ذُكرت أمامه الجنة ورُغّب فيها ألقى الدنيا وتبعاتها من فوق ظهره، وهرع إلى رب العالمين ليلحق بركب السائرين إلى الله، وكذلك المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، إذا ما ذُكِرت أمامه جهنمُ بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقومها انهمرت دموعه وارتجف قلبه وطال حزنه، وأشفق على نفسه فلا تجده بعد ذلك إلا صائمًا قائمًا. وهذه هي الثمرة الحقيقية للترغيب والترهيب، أن يُساق الإنسان إلى رب العالمين جل جلاله بمواعظ الخوف والرجاء.

واعلم أيها المسلم أن القلب الذي يتأثر بذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب عمومًا، وينقاد بذلك إلى طريق الاستقامة، هو القلب الذي سكن الإيمان شغافه[١]، فسرعان ما ينقاد هذا القلب إلى الله تعالى إذا ما ذُكر، ومن هنا نعرف السر الحقيقي في عزوف كثير من البشر عن سُبل الاستقامة الكاملة حسب الطاقة الحقيقية للإنسان، ذلك لأن القلوب قد امتُلِئت بحب الدنيا وشهواتها، وركن الإنسان إلى هذه الحياة الزائلة، فإذا ما خُوِّف أو رغب ليلحق بقوافل السائرين إلى الله تعالى، وجد مئات المثبطات التي ارتضاها لنفسه وعاش في دائرتها، ولا يكفي لنجاة هذا الصنف دمعات عابرة، أو زفرات طائرة،أو تأوه أجوف لأنه سرعان ما يمر هذا الشعور الإيماني مرور الطيف في وهج الظهيرة، بل لابد من عودة كاملة إلى الله تعالى، ليتحقق للإنسان السمع والطاعة بكل حب وامتثال[٢].

---

(١) الشغاف: غلاف القلب أو حجاجه أو سويدائه، انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٠١٦.

(٢) كتاب: "والذين هم لفروجهم حافظون، خميس بن السعيد محمد، ص ٦٣، ٦٤.

الحديث رقم (١٨٧٧)

١٨٧٧- وعن شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قال: ((سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ (العَبْدُ) [١]: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إلهَ إلاَّ أنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبُوءُ[٢] بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ. ومَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ)). رواه البخاريُّ[٣].

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧).

غريب الألفاظ:

أبوء لك: أقر وأعترف[٤].

موقنًا: مخلصًا من قلبه مصدقًا بثوابها[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبسٌ من الهدي النبوي في إرشاد المنيبين إلى ربهم، التائبين والمستغفرين إلى معالم الطريق الصحيح، وهو من الأحاديث الجامعة لمعاني التوبة كلها، ولذلك يبدأ الحديث بصورة تعبيرية موحية تشخص المعنى، وتجسد قيمة الاستغفار وتجعل من الاستغفار كائنًا مهابًا تتعدد صوره وأساليبه، ولكن لكل هذه الصور، وتلك الأساليب سيد: وهو سيد الاستغفار، وتأمل لفظ السيد (وهو السيادة والشرف والعزة، فالاستغفار

---

(١) (العبد) لا توجد عند البخاري.

(٢) عند البخاري زيادة: (لك).

(٣) برقم ٦٣٠٦. أورده المنذري في ترغيبه ٩٥١.

(٤) رياض الصالحين ٦٤٠.

(٥) فتح الباري ١٠٣/١١.

من ثمرته أنه يجلب العزة والشرف والسيادة للمستغفر التائب).

وقال الطيبي في تعليل هذا التعبير: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور.

والدعاء: في بداية الحديث يأتي في صيغة النداء، (اللهم) وقد حذف حرف النداء، وتكرار الضمير (أنت) مرتين في قوله: (أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني) يرشد إلى الاعتراف بمزيد من الحاجة إلى عون الله عز وجل، لأنه ربه، وهو الذي خلقه، ولذلك جاء أسلوب القصر معبّرًا عن المعتقد الصحيح، وبأن هذا الداعي لا يداهمه أي شك في حماية الله عز وجل له، وإضافة (رب) إلى ياء المتكلم وكذلك في (خلقتني) حيث أصبحت ياء المتكلم مفعولاً به، للإشعار بالاعتراف بالفضل، وبالالتزام بتعاليم الكتاب والسنة.

وتكرار ضمير المتكلم (أنا) مرتين في قوله: (وأنا عبدك وأنا على عهدك) يؤكد صدق هذا المسلم الداعي، وصِدْقَ رسولِ الله ﷺ وبلاغته في حسن اختيار الكلمات الدالة المناسبة للمقام فلكل مقام مقال.

والطباق بين أنا وأنت، وتكرار كل ضمير مرتين، هذا التكرار يؤكد اعتراف العبد بالربوبية والألوهية، واعترافه بجلال الخالق فهو الرب الذي خلقه، واعترافه كذلك بضعف المخلوق وحاجته إلى عفو ربه، وكرمه.

وتأمل هذا الإيقاع الصوتي الذي أحدثه توالي هذه الكلمات في ذلك الدعاء: (وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) والكلمات الثلاث بينها جناس ناقص، وهذا الجناس أحدث أثرًا صوتيًا ونفسيًا نشأ من هذا الإيقاع الجميل الذي أحدثه التوافق بين معظم حروف الكلمات (عبدك، عهدك، ووعدك).

والفصل بين جملتي الدعاء (أعوذ بك) و(أبوء بذنبي) هذا الفصل يومىء إلى الاستئناف في الجملة الثانية، والفصل بينهما وبين دلالتها، الجملة الأولى: فالأولى تتضمن الاستعاذة بالله من الشر، والثانية تتضمن الاعتراف بالنعمة، والطباق بين (بك، ولك) يتسق مع المطابقة أو المقابلة العامة بين الجملتين.

والتأكيد وأسلوب القصر في قوله: (فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) يؤكد أن العبد المسلم لا يتوجه بطلب المغفرة إلا لله عز وجل، وختام الحديث الشريف هو في قمة الترغيب، حيث جاء في جملتين شرطيتين، وجميع ألفاظ الجملتين متحدتين ما عدا ألفاظ: النهار والليل، ويصبح ويمسي، والجملتان في إطار هذه المقابلة الشاملة وهذا التَّكْرار المُحَبّب ترغيب لكل مسلم في العودة إلى دوحة الإيمان والإخلاص حتى يكون من أهل الجنة الأخيار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية إظهار العبودية لله تعالى في الاستغفار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اليقين في مغفرة الله تعالى وعدم الشك.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على جوامع الكلم في الاستغفار مما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية إظهار العبودية لله تعالى في الاستغفار:

إن من يتأمل النصوص الحاثة على الاستغفار في الكتاب والسنة يجد أن معظمها يكون مصحوبًا بالدعوة إلى توحيد الخالق والاعتراف بألوهيته والإذعان لربوبيته، وهي بذلك إشارة بديعة إلى أن أعظم سبب بل أول سبب لحصول المغفرة هو التوحيد الخالص وأن جميع الأسباب الأخرى لا تغني شيئًا إذا فُقِد هذا الأصل العظيم، فهو أساس الدين وأصل العبادة وعنوان الملة، وإذا رسخ في قلب العبد وانغرس وجدانه فقد أهَّل نفسه لنيل مغفرة المولى جل وعلا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1])[2].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) انظر: كتاب "الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٥٨٦.

ومن يتأمل سيد الاستغفار في الحديث، يجد أنه بدأ بإعلان العبودية لله تعالى: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)، قال الإمام الطيبي في شرح الحديث: (قوله: "سيد الاستغفار" السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم الذي يصمد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور بهذا الدعاء، الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها، وقد سبق أن التوبة غاية الاعتذار. وقوله: "وأنا عبدك" يجوز أن يكون جملة مؤكدة، وأن يكون مقدرة، أي أنا عابد لك، قوله: "وأنا على عهدك، ووعدك". قال البغوي: يريد أنا على ما عاهدتك عليه، وواعدتك من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك، وقد يكون معناه أني مقيم على ما عاهدت إلى من أمرك ومتمسك به، ومتنجز وعدك في المثوبة، والأجر عليه. واشتراط الاستطاعة في ذلك، معناه الاعتراف بالعجز، والقصور عن كنه الواجب من حقه عز وجل. أقول: ويجوز[1] أن يراد بالعهد والوعد ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾.

قوله: "أبوء لك" قال ابن الأثير في النهاية: أي ألتزم وأرجع، وأقر، وأصل البوء اللزوم. ومنه الحديث "فقد باء بها أحدهما" أي ألزمه، ورجع به. أقول: اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه، ولم يقيده ليشمل كل الإنعام، ثم اعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، وعده ذنبًا مبالغة في التقصير وهضم النفس. قال ابن حجر: (أي: أنا عبد لك، قال الخطابي: يريد أنا مقيم على ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك، ويحتمل أن يكون المراد بذلك العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية)[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾[3]. قال ابن القيم: (التحقيق بمعنى قوله:

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٢/٥، ١٠٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٢/١١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

إني عبدك، التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه واللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه، وعياذ العبد به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفاً ورجاء)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اهمية اليقين في مغفرة الله تعالى وعدم الشك:

إن اليقين هو أساس الدين ومراده الأعظم وهو من لوازم الإيمان، قال تعالى واصفًا عباده المؤمنين: ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾[2] وقد جاء في الحديث استحضار اليقين واستصحابه عند التلفظ بألفاظ الاستغفار فقال ﷺ: (من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، قال ابن القيم: "ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة اليقين، وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، واليقين سبب الهدى والفلاح بين العالمين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾"[3] [4]، من أجل ذلك وطلبًا لقبول العمل، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوقن بعطاء الله وجزائه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ، وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ))[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ص ٣٤ – ٣٥.

(٢) سورة النمل، الآيات: ١-٣.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٤١٣/٢.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٤ – ٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (الصحيحة ٥٩٦).

رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي فلما سكت قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَالَ مِثْلَ هذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[١]، فإن اليقين إذا تحقق لدى الإنسان تحقق صدق رجائه وخلو دعائه[٢].

قال أبو بكر الوراق: "اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله وبالعقل عُقل عن الله، "، فإن يقين المسلم بالله أكبر وأوثق مما يراه بعينيه، قال بعضهم: رأيت الجنة والنار حقيقة، قيل له: كيف؟ قال: رأيتها بعيني رسول الله ﷺ، ورؤيتي بعينيه أوثق عندي من رؤيتي لها بعينيّ، فإن بصري قد يخطئ بخلاف بصره ﷺ"[٣].

ولله در عبدالله بن رواحة رضي الله عنه حين قال:

فِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ[٤]

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على جوامع الكلم في الاستغفار مما ورد عن النبي ﷺ في ذلك:

إن أفضل الذكر وصيغ الاستغفار والدعاء ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنها ما جاء في صيغة الاستغفار التي سماها النبي ﷺ بسيد الاستغفار، فقال: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي..)، قال الطيبي: (السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم، الذي يصمد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور بهذا الدعاء الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٥٢/٢، رقم ٨٦٢٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح (مسند أحمد ٢٧٢/١٤).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢٤٧١/٢.

(٣) بصائر ذي التمييز، الفيروزآبادي ٣٩٨/٥ - ٤٠٠.

(٤) تاريخ دمشق، قافية العين ١٠٦/٢٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠٣/٥.

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: جَمَعَ ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يُسَمَّى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى، وهذا القدر الذي يكنى عنه بالحقيقة، فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه، وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل"[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في سيد الاستغفار والإيقان بمعانيه بدخول الجنة، فقال ﷺ: (من قالها في النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، فأسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده، الذي أطاعه واتقاه، محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان جنس الطاعة، كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي شرعها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[2]، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وقد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٢/١١.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٤٠ -٤٤١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٨٧٨)

١٨٧٨- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ، اسْتَغْفَرَ اللهَ[١] ثَلاَثًا وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ انْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ)) قيلَ[٢] لِلأَوْزَاعِيِّ (وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ) [٣]: كَيفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: يقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

الشرح الأدبي

إن محمدًا ﷺ أقرب الأنبياء إلى ربه، وأشد المؤمنين تعلقًا بمولاه، فهو -كما يقول د. محمد رجب البيومي: لا يفتأ يدعوه في كل ساعة تمر، حتى ترك من أدعيته الرائعة أدبًا عاليًا له سماته الجميلة من حرارة العاطفة، وقوة الصدق، وجمال التعبير.

وهذا الحديث شاهد صدق على ملازمة رسول الله ﷺ للاستغفار والدعاء، ويَرْوي هذه الشهادة الصادقة ثوبانُ رضي الله عنه خادمُ رسول الله ﷺ، فيقول في تمهيده لدعاء رسول الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، والفعل "كان" يجيء في سياق الرواية للحكاية، أي كان رسول الله ﷺ عقب كل صلاة.. فدعاء رسول الله ﷺ دائم، واستغفاره لا ينقطع، وأسلوب الشرط يؤكد هذه الحقيقة لأن أداة الشرط تفصح عن دلالة الاستمرار والتحقق، فكل صلاة إذا انصرف منها كان يستغفر الله ثلاثًا، والعدد هنا مراد به التأكيد والوتر، وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ، والجمع في اللغة ثلاثًا فأكثر، وللمسلم أن يكثر من الاستغفار

---

(١) لفظ مسلم: (استغفر ثلاثا).

(٢) قائله الوليد بن مسلم كما في مسلم.

(٣) هذا التفسير من المؤلف.

(٤) برقم ١٣٥/٥٩١، وتقدم برقم ١٤١٧.

ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والقسم الثاني من الحديث: هو نص دعاء رسول الله ﷺ بعد الاستغفار عقب انصرافه من الصلاة، والدعاء مناجاة وابتهال وثناء على الله عز وجل في صيغة النداء، والتعبير بقوله (اللهم) يشعر بمزيد من الإلحاح في الدعاء، والطمع في مزيد من الرجاء، والخطاب المباشر لله عز وجل في قوله: "أنت السلام، ومنك السلام" للإشعار بأن الله قريب من عباده، وتَكْرَار لفظ: "السلام" وهو من أسماء الله الحسنى للإشعار بمزيد من الطمأنينة، وأن العبد المسلم لن يصيبه مكروه وهو في حمى ربه وهو على العهد والوعد ما استطاع. وقيل: السلام أي السالم من سائر النقائص والمنزه عنها، والنداء في قوله: "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" للإفصاح عن شدة الحاجة إلى عفو الله والاحتماء بعظمته، والاستعاذة من شر ما خلق، ومن الشيطان الرجيم.

ومعنى: "تبارك الله": أي تنزه وتقدس، والبركة من دلالاتها اللغوية: الهناء والسعادة، والتبريك الدعاء بها، وقولنا: "بارك على محمد وعلى آل محمد": أي أدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، فقوله "تباركت" يحمل أيضًا دلالات كثيرة من الدعاء والرجاء، ودوام العطاء والتشريف والكرامة "والجلال": أي العظمة ومنها التنزه عن النقائص، والإكرام: أي أوصاف الجمال من الكرم والغفران والعفو، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤١٧).

الحديث رقم (١٨٧٩)

١٨٧٩- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ[1]: ((سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وأتوبُ إِلَيْهِ[2])) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أدب المناجاة والتضرع إلى الله عز وجل، والمسلم مطالب بالاستعداد للموت، والتزود بما يحصنه من الفتن ومهاوي الإغواء، والتسبيح والحمد والاستغفار والتوبة من أسمى مقامات الذكر، ومن أمنع الحصون التي يتحصن بها المسلم استعدادًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي هذا الحديث شاهد صدق على هذا السلوك في حياة المسلم، وفي حياة رسول الله نبي الإسلام ﷺ، فهو القدوة الحسنة، وقوله: (يكثر أن يقول قبل موته) أي يقول ذلك في ركوعه وسجوده من صلاته، ففي الكلام إيجاز بالحذف، وتحديد التسبيح والحمد بالصلاة تقييد، فهو في الصلاة وغيرها، والحديث تتضوأ في آفاقه أربع منارات من منارات الذكر والمناجاة، وهي تشرق قلب الحبيب المصطفى ﷺ وتشع بكل معاني المحبة الإلهية، والعطاءات الربانية، وهي: التسبيح والحمد، والاستغفار والتوبة، ونلاحظ أن جملة التسبيح والحمد لم تأت في إطار الحدث والزمن فليست جملة فعلية، ولكنها صيغت في قالب الجملة الاسمية، وهي لها صفة الثبات، وتسبيح الله

---

(١) لفظ مسلم: (قبل أن يموت).

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك)، والمثبت لفظ مسلم برقم ٤٨٤/٢٢٠ من حديث عامر الشعبي، عن مسروق.

(٣) أخرجه البخاري ٨١٧، ومسلم ٢١٨، و٤٨٤/٢٢٠، وقد تقدم برقم ١١٤ (رواية من روايات الأحاديث) والحديث بهذا اللفظ لأحمد ٢٥٥٠٨.

وحمده يقين ثابت في قلب المصطفى ﷺ لا يعتريه نقصان، ولا يشوبه تغير أو تبدل، وأما الاستغفار والتوبة فقد جاء في قالب الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع (استغفر وأتوب) لأن الاستغفار مرتبط بالأعمال الصالحة وهي تحتاج لزمن وحدث، والعمل الصالح برهان التوبة، ولدى رسول الله ﷺ الاستغفار والتوبة أمارة الشكر والتعظيم والإجلال والتكريم.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٤).

الحديث رقم (١٨٨٠)

١٨٨٠- وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَةً)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

(عَنَانَ السَّمَاءِ) بفتح العين: قِيلَ هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أيْ ظَهَرَ. **(وَقُرَابُ الأَرْضِ)** بضم القاف، ورُوي بكسرِها، والضم أشهر. وَهُوَ ما يُقَارِبُ مِلأَها[2].

الشرح الأدبي

إن الحديث القدسي ألفاظه من إنشاء المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومعانيه تُوحَى إليه من قبل الله عز وجل، والرسول صلى الله عليه وسلم يصوغه بعبارته العربية المبينة الواضحة، ويرويه عنه الصحابة الأخيار باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط مع الحرص على عدم تبديل الدلالة المعنوية حين يتغير النسق اللفظي، أو تتبدل العبارة من نسق إلى آخر، والقرآن هو الوحي المتلو كما قال ابن حجر، والحديث القدسي هو الوحي المروي عنه صلى الله عليه وسلم.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث القدسي نجده يموج بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية ومنها:

أ- النداء بقوله: يا ابن آدم في بداية كل مقطع من مقاطع الحديث.. حيث تكرر النداء ثلاث مرات وذلك في هذه الجملة الحانية المطمئنة (يا ابن آدم) فالبشرية كلها

---

(١) برقم ٣٥٤٠ وقال: حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٠٤، وقد تقدم برقم ٤٤٢.

(٢) الترغيب ٢/٤٦٤.

مطالبة بالتوحيد والدعاء والاستغفار، وهذا النداء المتكرر لطمأنة كل من يتوب إلى الله بأن توبته مقبولة، وذنوبه مغفورة.

ب- تنوع الأساليب في الحديث عقب كل نداء فالتأكيد بعد النداء الأول يفتح آفاق الرجاء، وأبواب القبول أمام كل من يدعو ربه وهو موقن بالإجابة، وقوله: "ما دعوتني ورجوتني غفرت لك"، يمد أمام التائبين حبل الرجاء فعلى قدر وزمن دعائهم ورجائهم تكون الإجابة وتكون المغفرة، حتى لو استمر ذلك طول العمر، و(ما) في هذه الجملة مصدرية ظرفية لا شرطية.

ج- أسلوب الجواب والشرط في المقطع الثاني بعد جملة النداء في قوله: (لو بلغت ذنوبك عنان السماء) أي السحاب أو ما ظهر من السماء في الفضاء كله، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، وفي هذه الجملة تشخيص للذنوب، وتجسيد لها.. فهي لو أصبحت أجرامًا تملأ ما بين السماء والأرض كناية عن الكثرة، ومبالغة في ممارسة الذنوب، وأداة الشرط هنا (لو) وهي أداة امتناع لامتناع لأنه يستحيل أن تتحول الذنوب إلى أجرام، لذلك قيل: أي عند فرضها أجرامًا!!

د- اجتماع الشرط والتأكيد في المقطع الثالث حين يقول: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا... ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة.

وفي هذا المقطع يتضاعف الجزاء والثواب حيث تكون التوبة والمغفرة، والله سبحانه يكافئه ويمنحه ملء الأرض مغفرة، ويقول عز وجل: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

هـ- تكرار قول الله عز وجل في الحديث: غفرت لك ولا أبالي أي لا ينقص من عطائي شيء ولا يقلل من منزلتي هذا العفو، ولا أكترث بذنوبك ولا استكثرها وإن كثرت إذ لا يتعاظمني شيء، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

المضامين الدعوية[2]

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٤٢).

الحديث رقم (١٨٨١)

١٨٨١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: ((يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإنِّي رَأيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ)) قالت امرأةٌ مِنْهُنَّ[١]: مَا لَنَا أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ)) قالت[٢]: ما نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قال: ((شَهَادَةُ امْرَأتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأَيَّامَ لاَ تُصَلِّي)) رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تكثرن اللعن: تكثر الدعاء باللعن: وهو الإبعاد والطرد من رحمة الله[٤].

تكفرن العشير: أي: تجحدون إحسان أزواجكن[٥].

لب: العقل[٦].

الشرح الأدبي

هذا الحديث محاورة توجيهية تعليمية بين رسول الله ﷺ وإحدى النساء المسلمات حول مكانة المرأة في الإسلام، وتعليل الحكم بأن المرأة ناقصة عقل ودين، ويبدأ الحديث بالنداء الصادر من رسول الله ﷺ إلى النساء، ويقترن النداء بأمرين واجبين وهما: تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، والنداء موجه إلى جميع النساء، ويأتي تعليل

---

(١) عند مسلم زيادة: (جزلة).

(٢) عند مسلم زيادة: (يا رسول الله).

(٣) برقم ٧٩/١٣٢. والسياق للحميدي في جمعه ٢/٣٠٢ رقم ١٥١١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٤٣.

(٥) انظر: النهاية ٨٠٧.

(٦) النهاية في (ل ب ب).

الأمر موحيًا بأن الصدقة والاستغفار ينجيان من النار، وجملة التعليل يتصدرها التوكيد للدلالة على صدق القول، وكذلك لتحذير النساء من التمادي في العوج حيث يقول: فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

وتبدأ المحاورة الهادئة المقنعة بين رسول الله ﷺ والمرأة المسلمة، حيث سألت المرأة في دهشة واستغراب ما لنا أكثر أهل النار؟ ويجيبها رسول الله ﷺ إجابة صريحة لا مجال فيها للمجاملة أو المداراة -لأن حديثه تشريع، وكلامه حِكَم- فحدد رسول الله ﷺ سببين واقعيين لهما صلة بطبيعة المرأة وسلوكياتها، وردود أفعالهما تجاه المشاكل الحياتية، وقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير وهذا الإيجاز في الإجابة أقنع المرأة، ولكن رسول الله ﷺ ذيل إجابته بشاهد ملموس واقعي مفسر لكثرة اللعن، والكفران بالعشير وهو الزوج: فهن لا يعترفن بما قدم من منافع ومودة إذا ما حدث خلاف، وشب نزاع، وقال رسول الله ﷺ: إنكن تغلبن ذا اللب، وأنتن ناقصات عقل ودين، وهذه مفارقة تدعو للعجب، فكيف تتغلب ناقصة العقل، وناقصة الدين على صاحب العقل الحكيم، والرأي السديد، وزيادة (من) للاستقصاء، ورأى هنا "علمية" أي ما علمت وأفعل التفضيل في قوله: "أغلب" يدل على عظم كيد النساء وقوة حيلهن.

ولا تغضب المرأة تأدبًا مع رسول الله ﷺ، ولا تعترض، ولكنها ترغب في التعلم والمعرفة فتسأل حتى يزداد اقتناعها ما نقصان العقل والدين؟ فالسؤال عن حقيقة النقص، وليس عن النساء واستغراب وصفهن بهذه الصفة ولم تقل كيف تكون النساء ناقصات عقل ودين، وليس عن النساء واستغراب وصفهن بهذه الصفة، ولم تقل كيف تكون النساء ناقصات عقل ودين، حتى لا يحمل السؤال شبهة الاعتراض على كلام رسول الله ﷺ وإنكار دلالته.

وتأتي إجابة رسول الله ﷺ محددة الدلالة، قوية الحجة، قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي، فنقصان العقل دليله أن المرأة لا تكفي شهادتها وحدها ولكن لا بد من اثنتين مخافة أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ونقصان الدين هو أنها في المحيض لا تصلي فهذا نقص من الدين لفقد الثواب المرتب على فعلها.. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة في النجاة من النار.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ترهيب النساء من اللعن والجحود والإنكار لفضل الزوج وعشرته.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا معشر النساء" وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وقد تكرر أسلوب النداء كثيرًا في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1] والخطاب المصدر بنداء الإيمان له أهمية خاصة عند المؤمن، فهو خطاب للمؤمن خاصة يخاطب قلبه، ويجعله يشعر أن الله عز وجل يخاطبه[2]، (فالنداء للذين آمنوا بصفة الإيمان نداء موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف)[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "تصدقن وأكثرن من الاستغفار"، والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على الواجبات الشرعية وأمرهم بها وحثهم عليها، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن كثيرًا وبصيغ متعددة،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٦٠.

(٣) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

صريحة وغير صريحة، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] وقوله ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٣] وصيغ غير صريحة، ومنها ما جاء في الإخبار عن تقرير الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٤] وغير ذلك[٥].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: النساء:

الحديث موجه لجماعة النساء، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار..." فالنساء صنف أصيل من أصناف المدعوين، ولقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[٦] فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عالٍ في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات النصف الآخر فهن مربيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها، إذ أن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه)[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٥) انظر: الموافقات، الشاطبي، ٣/١٤٤-١٥٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٧٣، ٧٤.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة في النجاة من النار:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ ما للصدقة من فضل في الوقاية من النار، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار" قال النووي: (وفيه الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات)[١]، ففيها إذهاب للسيئات ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢] أي أن فعل الخيرات يكفر الذنوب[٣]، فالصدقة تطفي الخطايا وتكفرها، روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((... والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[٤] وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ((فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[٥].

كما بين النبي ﷺ أن الصدقة من أسباب دخول الجنة والعتق من النار، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار))[٦].

كما جاء أن الصدقة تنجي صاحبها يوم القيامة وتمنع عنه حَرَّ يومئذ، روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس، أو قال يحكم بين الناس))[٧] وفي رواية ((إن ظل المؤمن يوم القيامة صدقة))[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٤٣.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥٥/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٥، ومسلم ١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٣٠.

(٧) أخرجه أحمد١٤٧/٤، رقم ١٧٣٣٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٦٨/٢٨.

(٨) أخرجه أحمد ٢٣٣/٤، رقم ١٨٠٤٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٧٩/٢٩.

وقال النبي ﷺ في أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ((... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))(١). وذكر النبي ﷺ أن الصدقة برهان لصاحبها على صدق إيمانه، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ "أَوْ تَمْلأُ" مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ...))(٢) قال ابن رجب الحنبلي: (وأما الصدقة فهي برهان، والبرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهانًا لوضوح دلالتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان، وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه)(٣). فالصدقة من أكبر براهين الإيمان، فهي برهان على إيمان صاحبها ودينه ومحبته لله إذ سخى بماله المحبوب للنفوس.

إن الصدقة تزكي وتُنمّي المُعْطِي والمُعْطَى والمالَ الذي أُخرجت منه، أما تزكيتها للمعطي فإنها تزكي أخلاقه وتطهره من الشح والبخل والأخلاق الرذيلة، وتنمي أخلاقه فيتصف بأوصاف الكرماء المحسنين الشاكرين فإنها من أعظم الشكر لله، والشكر معه المزيد دائمًا، وتنمي أيضًا أجره وثوابه، فإن الزكاة والنفقة تَضَاعَفُ أضعافًا كثيرة بحسب إيمان صاحبها وإخلاصِه ونفعِها ووقوعِها موقعها، وهي تشرح الصدر وتُفْرِح النفس وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئًا كثيرًا، فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية، وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام، وكم خففت الآلام، وكم أزالت من عداوات وجلبت مودة وصداقات، وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات. وهي أيضًا تنمي المال المخرج منه، فإنها تقيه الآفات وتحل فيه البركة الإلهية(٤).

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ترهيب النساء من اللعن والجحود والإنكار لفضل الزوج وعشرته:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في تعليل كون أكثر أهل النار من النساء "فإني

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، الحافظ ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٢٣.

(٤) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ص ١٥، ١٦.

رأيتكن أكثر أهل النار، قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير" وأصل اللعن إبعاد الله تعالى العبد من رحمته بسخط، ومن الإنسان الدعاء عليه بالسخط، وقد اتفق العلماء على تحريم اللعن، فإن معناه الإبعاد من رحمة الله، ولا يجوز أن يبعد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره معرفة قطعية، مسلمًا كان أو كافرًا، إلا ما علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس[١]، وأما كفران العشير وجحود النعمة فهو أيضًا من الأمور التي حذر منها الإسلام، خاصة النساء لكثرة ذلك منهن، وقد عدَّ بعض العلماء كفران النعمة من الكبائر. خاصة إذا كانت النعمة من الله سبحانه أو ممن تجب مراعاته كالزوج[٢]. يقول ابن حجر الهيتمي: (ذكر جماعة أن كفران نعمة المحسن من الكبائر، ويتعين حمله على كفران نعمة الله، ويمكن حمله أيضًا على كفران نعمة محسن تجب مراعاته كالزوج لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد)[٣]، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بشكر النعمة وحذرنا من كفرها، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: ((مَنْ أُعْطَى عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَن لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ))[٤] إن كفران النعمة سبب لغضب الرب سبحانه، وإعراض الخلق، وكما أنه سبب من أسباب زوال النعمة بعد حصولها، فضلاً عن أنه دليل على ضعف الإيمان وسوء الأخلاق ولؤم الطباع[٥].

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رهب النبي ﷺ من كثرة اللعن وكفران العشير، ببيان أن ذلك سبب كون النساء أكثر أهل النار، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، قالت

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ١٤٣/١.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٥٦٥٦/١١.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨١٣، والترمذي ٢٠٣٤، والحديث حسنه الألباني (الصحيحة ٢٦١٧).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٦٤/١١.

امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير" وأسلوب الترهيب من أبرز الأساليب الدعوية استخدامًا وأعظمها تأثيرًا، وذلك لملائمته لطبيعة النفس البشرية التي جبلت على كره الشر، والرغبة في البعد عنه، لذا كان الترهيب مما أعده المولى جل وعلا لعبده الذي عصاه وتنكب الطريق المستقيم، وأسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو[1]، ومن آيات الترهيب في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

إن الترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام، وذلك؛ لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعلهُ قلقًا حذرًا، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف، إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال، متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نحو الحذر من جهة من الجهات تخبو جَذْوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وتكتسب خُلُقَ الزُّهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إغراءاتها آسرة، ومثيرة لرغباتها وأهوائها.

ومن الملاحظ أن طائفة من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة، ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر،

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤٠، ٤٤٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤.

لكنهم إذا مثلت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا[1].

والرسول ﷺ الذي لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين ووضعهم على جادة الصواب[2].

---

(١) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

من اللافت للنظر أن باب الاستغفار هو الباب قبل الأخير من كتاب رياض الصالحين، والباب الأخير هو: باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الجنة، والاستغفار يكون في الدنيا، ولما كان ابن آدم خطاء، ويمحو الذنبَ الاستغفارُ فقد حث الإمام النووي ضمناً على الإكثار من الاستغفار وبخاصة عند خواتيم الحياة، أما باب جزاء المؤمنين في الجنة، فهذا يتعلق بالآخرة، وهي دار جزاء لا عمل، والدنيا دار عمل، ومن أفضل الأعمال فيها الاستغفار، وهو لا يقتصر علي وقت دون وقت، بل إنه يكون في الأوقات كلها: الليل والنهار والصباح والمساء.

والاستغفار إعلان من العبد عن تقصيره وتفريطه في عبادته لربه وتوجهه إليه، فضلًا عن أنه تضرع إليه -سبحانه- أن يتجاوز ويعفو ويغفر.

والمسلم الصادق يعلم أنه مهما اجتهد في العبادة والطاعة والإذعان، أنه مقصر، فهو لا يستطيع أن يؤدي لله حقه من الطاعة والامتثال؛ ففضله -سبحانه- عليه عميم، ونعمته عليه لا تحصى، وأنه مهما اجتهد في العبادة، فهناك مراتب أعلى وأسمى وأرفع، ينبغي أن يسعى إليها ويذوق حلاوتها.

لذا كان أحرصُ الناس علي الاستغفار هم عباد الله المخلَصون؛ لأنهم يستشعرون تقصيرهم في عبادتهم لربهم عزَّ و جلَّ؛ فيلجئون إلي الاستغفار وطلب العفو والمغفرة من الله رب العالمين، معلنين -وكلهم خضوع وتذلُّل- أنهم فعلوا ما في طاقتهم البشرية، وأنه رب كريم يعفو ويغفر ويرحم.

لذا نرى من الأهمية بمكان أن يربي الناشئة وغيرهم علي الاستغفار لله تعالى؛ لما في ذلك من فوائد تربوية جليلة يكون لها تأثيرها البالغ علي حياتهم وأعمالهم، من ذلك:

(أ) إكسابهم السكينة النفسية والطمأنينة القلبية، فممّا لا شكّ فيه أن من استغفر الله متضرعًا إليه متخشعًا؛ شعر بالسكينة والطمأنينة، وهذا ينعكس انعكاسًا إيجابيًا علي أفكاره ومشاعره واتجاهاته وتصرفاته وأفعاله، والنفس المطمئنة هي النفس الفعالة المؤثرة المنتجة النافعة لنفسها ولغيرها ولمجتمعها وشعوبها

وشعوب الأرض.

(ب) يتيح الاستغفار للإنسان أن يراجع نفسه ويحاسبها علي ما وقع منها، فإن كان هناك خلل سعى بكل جهده أن يسدّه وأن يقارب، وإن كان هناك إحسان زاد فيه واجتهد.

(ج) يشعر المسلم بعد الاستغفار أن ذنوبه التي ارتكبها قد تخفف من آثارها بعض الشيء، أزالت معظم آثارها من نفسه، وهذا يعطيه دافعا قويا للطاعة والامتثال والإذعان للشرع؛ فهناك فرق كبير بين أن يعيش الإنسان وقد تخفف من آثار ذنوبه وسيئاته، وبين أن يعيش وهو ما زال يشعر بوقعها الشديد علي نفسه،شعورًا قد يصيبه باليأس والقنوط والإعراض عن الطاعة بالكلية.

وغير ذلك من الفوائد التي يشعر بها كل مستغفر صادق في استغفاره وتوبته إلي الله رب العالمين.



٣٧٢- باب بيان ما أعدَّ اللهُ تعَالَى للمؤمنين في الجنة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر: ٤٥- ٤٨].

وقال تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[الزخرف: ٦٨- ٧٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[الدخان: ٥١ — ٥٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾[المطففين: ٢٢ — ٢٨] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (١٨٨٢)

١٨٨٢- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**يَأكُلُ أهْلُ الجنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**)). رواه مسلم[1].

---

(١) برقم ٢٨٣٥/١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٠١.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ولا يَتَغَوّطُون: لا يتبرّزون[١].

ولا يَتَمَخَّطُون: أي: لا يخرجون المخاط من أنفهم[٢].

الجشاء: صوت مع ريح يحصل من الفم عن الشبع[٣].

كرشح المسك: كريح المسك نوع من الطيب يخرجه نوع من الغزلان[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يقدم صورة صادقة مبشرة لنعيم أهل الجنة، وهي صورة تدعو إلى التأمل في قدرة الله عز وجل حيث الإعجاز المطلق، والتفرد بالخلق والتدبير، وعدم الارتباط بالأسباب المادية البشرية القاصرة فأهل الجنة يأكلون، ويشربون، ولكن لا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، وهذه المفارقة تدعو إلى التدبر والتأمل؛ لأن الأكل يعقبه التغوط، والشرب يعقبه التبول، والتمخط من آثار كل منهما، وتأمل تفسير رسول الله ﷺ لهذه الظاهرة العجيبة فهي من صنع الله عز وجل حيث استدرك رسول الله ﷺ وقال: (لكن) والاستدراك هو: نفي ما يتوهم ثبوته، وإثبات ما يتوهم نفيه، فالثابت أن الأكل والشرب لهما آثارهما وقد نفى رسول الله ﷺ ذلك، وأثبت ما يتبادر إلى الذهن نفيه من المألوف الذي اعتادته البشرية بعد الأكل والشرب: وهو عدم التغوط والتبول والتمخط.

---

(١) الوسيط في (غ و ط).

(٢) الوسيط في (م خ ط).

(٣) المصباح المنير في (ج ش ا).

(٤) الوسيط في (ر ش ح)، ومعجم لغة الفقهاء ٣٩٨.

ومن سمات الجمال التعبيري مجيء الأفعال كلها مضارعة في الحديث؛ لأن هذه الصياغة تفصح عن استمرار هذا النعيم، فهو نعيم مقيم، وهم خالدون فيه لا ينقطع ولا يمتنع، والصياغة اللغوية أفصحت عن ذلك، وقوله: طعامهم ذاك للتعظيم والتفخيم والتحديد، وكأن الطعام حاضر أمام السامع والقارئ.

ووصف الطعام بأنه جشاء كرشح المسك، فيه صورة أدبية جميلة، وحقيقة واقعية جليلة فالطعام لا يخزن في أمعائهم؛ ولكنه يرشح على أبدانهم رشحًا طيب العرق كرشح المسك، ووجه التشبيه الثاني كما قال القرطبي: هو أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بُدّ له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وهذا في تعليل قوله كما يلهمون النفس حيث وضح العلاقة بين إلهام التسبيح وإلهام النَّفَس، وقال ابن الجوزي في تفسير تشبيه الطعام برشح المسك لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم أهل الجنة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على طاعة الله تعالى وعلى كل عمل صالح يؤهل لدخول الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى ورحمته لأهل الجنة.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم أهل الجنة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لما يتنعم به أهل الجنة فيها من الطعام والشراب والتنزه عن المستقذرات، فقال ﷺ "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك" قال النووي: (مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم

الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون)[١]، وقد أشارت نصوص القرآن إلى تشابه نعيم الجنة بالدنيا في الاسم والشكل دون الطعم واللذة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢] قال ابن كثير: (قال ابن جرير بإسناده عن ابن عباس وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى: "وأتوا به متشابها" يعني في اللون والمرأى، وليس يشتبه في الطعم، وقال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب)[٣].

وقال القاسمي: ("كلما رزقوا منها" أي أطعموا من تلك الجنان "من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا" يشبه بعضه بعضًا لونًا ويختلف طعمًا وذلك أجلب للسرور وأزيد في التعجب وأظهر للمزيّة وأبين للفضل وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر في استحكام الشبه، وأنه الذي يستملي تعجبهم ويستدعي استغرابهم ويفرط ابتهاجهم، "ولهم فيها أزواج مطهرة" من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقًا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وسوء الأخلاق وسائر مثالبهن وكيدهن ومن تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام[٤]، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على طاعة الله تعالى وعلى كل عمل صالح يؤهل لدخول الجنة:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما في الجنة من نعيم مقيم حثًا على طاعة الله والأعمال

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٢٠٥/١.

(٤) محاسن التأويل مج١/٢/٨٣، ٨٤.

الصالحة المؤهلة لاستحقاق هذا النعيم، كما هو واضح في الحديث "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون..." والقرآن دائمًا يذكر الجنة ونعيمها ثوابًا للأعمال الصالحات والصفات الطيبات كالتقوى والبر وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ﴾[٢] والإشارة إلى الجنة بصفاتها بحيث صارت كالمشاهدة، وأنها قد وعد بها المتقون[٣].

وفي ذلك إرشاد إلى طاعة الله عز وجل، والتجمل بالصفات الطيبة، والعادات الحسنة التي تقرب إلى الله تعالى، وتحبب إلى النفوس مشاهدة التجليات الربانية يوم اللقاء والاستظلال بظل الله، يوم لا ظل إلا ظله وإرشاد إلى الوسائل التي تسهل الطريق إلى دخول جنة الله الخالدة[٤]، وإن كان في التماس أسباب دخول الجنة شيء من المشقة والثقل على النفس، فذلك طبيعة طرق الفوز والنجاة، إلا أن أي مشقة تهون على النفس إذا علمت أن مآلها سيكون في جنات عرضها السماوات والأرض، فقال ﷺ: ((حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره))[٥] فالحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها[٦].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى ورحمته لأهل الجنة:

لقد تضافرت النصوص الصحيحة الصريحة في بيان فضل أهل الجنة، وكمال نعيمها، وأن الله هيأ لهم ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يَحُمْ حوله خيال من

---

(١) سورة المرسلات، آية: ٤١-٤٣.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٦/١٣/١٥٦.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي، ص ٤٣٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٨٧، وأحمد ٨٤١٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١١/٣٢٠.

اللذائذ والمسرات التي تقر بها عيونهم وتسعد بها نفوسهم بلا قلق ولا تكدر، وأن الله عز وجل أعطى أهل جنته من النعم ما ينسيهم نعم الدنيا، وأزال عنهم التعب حتى في الأمور الطبيعية كالامتخاط ونحوه وعدم تحملهم لشيء من التكاليف وتحول الالتزامات الدنيوية إلى نعم وافرة ومستلزمات نافعة[١]، فقال ﷺ "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النَفْس" قال ابن حجر: (قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام، ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولابد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره)[٢]. وذلك أن الجنة وإدخال أهلها فيها محض فضل من الله تبارك وتعالى، وقد صرح النبي ﷺ بذلك، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنة . قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلاّ أن يتغمَّدَني الله بفضل ورحمة. فسدِّدوا وقاربوا، ولا يَتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ، إما مُحسنًا فلعلهُ أن يزدادَ خيرًا، وإما مُسيئًا فلعلهُ أن يَستعتِب))[٣]، وقد سمى الله عز وجل الجنة جُملةً فضلاً، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤] وسمى ما في الجنة من رزق أيضًا فضلاً، فقال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]. أي يهنئ بعضهم بعضًا بأعظم مهنئ به، وهو: نعمة ربهم وفضله وإحسانه[٦].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٨٤٥.

(٢) فتح الباري ٣٧٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٧٣ واللفظ له، ومسلم ٢٨١٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٧١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٢٤.

الحديث رقم (١٨٨٣)

١٨٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧])) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي يجمع بين الحديث القدسي والحديث النبوي والقرآن الكريم وهو يعرض أمام الأمة النعيم الذي أعده الله لعباده الصالحين.

وفي ضوء الملامح التي أضفاها رسول الله ﷺ على عباد الله الصالحين نقرأ هذا الحديث الشريف ونتأمل جماليات أسلوبه الفائق، وبلاغته الواضحة المؤثرة، فقوله (أعددت) يحدد قيمة الجزاء والثواب وفضله؛ لأن المتكلم هو الله، والمعد هو أحكم الحاكمين، وهذه بشارة عظمى لأولياء الله المقربين، وقوله: "لعبادي" فيه تكريم لهؤلاء العباد؛ لأنهم اختصوا بشرف الإضافة إليه عز وجل فياء المتكلم مضاف إليه، والمتكلم هو الله عز وجل، فأي شرف أسمى من ذلك، وأي مقام أرفع من هذا المقام الأسنى؟!

ووصف العباد بالصالحين، تأكيد لمقام العبودية، والقيام بمقتضاها فهم قائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد، والتكرار في هذا الحديث مثل تكرار لا النافية للجنس ثلاث مرات، يؤكد أن هذا النعيم المعد لهؤلاء العباد الصالحين لا يماثله نعيم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٤٤ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢٤/٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٧.

دنيوي، فهو نعيم لم تشاهده عين قبل ذلك، ولم تسمع به أذن في أي عصر من عصور التاريخ، ولم يخطر على قلب بشر، ولم يستطع الخيال البشري ولا الأحلام التي تعز على التحقيق أن تحيط به خبرًا لأنه نعيم من لدن عزيز حكيم.

ومجيء لفظ: عين وأذن وقلب في صيغة النكرة ليس للتقليل ولكن للتكثير والشيوع والعموم، فهذا النعيم لم تشاهده عين بشرية على مر الحقب والعصور، وقد يسمع الإنسان عن شيء لم يشاهده، فقد حقق الصورة السمعية المتخيلة، وهذه المرتبة كذلك لم يحظ بها البشر؛ لأن نعيم الجنة لم تسمع به، ولم تصغ أي أذن إلى تفاصيله الحقيقية، وحقيقته الكائنة التي أعدها الله عز وجل، وقد لا يرى الإنسان ما يرغب فيه، وقد لا يسمع صوته، أو لا يسمع عنه عن طريق الحكاية، ولكنه يتخيله عن طريق الأحلام والأماني القلبية، والنوازع والأشواق النفسية، وحتى هذه المرحلة القصوى والمثلى من مراحل الإدراك والتمني، وهي أخفى من أن توصف، هذه المرحلة: نعيم الجنة أسمى وأرقى منها، وأبعد عنها، فلا الأفكار النفسية تتصوره، ولا الآذان تجمع أنباءه وأصداءه، ولا الأبصار تتملى مشاهده وأفياءه، وتأييدًا لهذه البلاغة وذلك التحدي، وهذه البشارة العظمى يقول رسول الله ﷺ: واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة وما أعده لهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: السعي في رضوان الله والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشويق والترغيب.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة وما أعده لهم:

لقد أخبرنا الله تعالى بأن الجنة في الآخرة هي مأوي المؤمنين به والمسلمين له، وأنها مراتب ودرجات، تتناسب مع مستوى الإيمان والمعرفة والخشية والعمل الصالح الذي قدمه مستحقها في الحياة الدنيا، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة جملة من أوصاف الجنة ومنها: أن فيها أنواعًا لا تحصى من النعيم المادي والروحاني وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]، كما جاء في قول النبي ﷺ "قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وفي ذلك تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة، وأن فيها فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وذلك جزاء عبادتهم وخوفهم لله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة[4] (فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لمّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقًا فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر)[5].

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٩٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٥/٦.

فلا تعلم نفس ما ادَّخِر وأُعدَّ لهؤلاء مما تقر به أعينهم من طيب النفس والثواب والكرامة في الجنة جزاءً لهم على ما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة"[1].

وقال الطاهر بن عاشور: (عظم الله أجر عباده الصالحين، ثم عظم جزاءهم إذ قال: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ أي لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم قال النبي ﷺ قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فدل على أن المراد بـ "نفس" في هذه الآية أصحاب النفوس البشرية، فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ، ومثل الأشجار من زبرجد، والأزهار من ياقوت، وتراب من مسك وعنبر، فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر فلذلك قال النبي ﷺ "ولا خطر على قلب بشر" وهذا كقولهم في تعظيم شيء: هذا لا يعلمه إلا الله.

قال الشاعر:

فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا ... عشية آناء الديار وشامها[2]

وعبر عن تلك النعم بـ "ما أخفي" لأنها مغيبة لا تدرك إلا في عالم الخلود.

وقرة الأعين: كناية عن المسرة كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[3].

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، مج٨/١٣/٢١٦.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قافية الألف ٢/١٠١.

(٣) سورة مريم، آية: ٢٦.

وقرأ الجمهور "أُخْفِيَ" بفتح الياء بصيغة الماضي المبني للمجهول. وقرأ حمزة ويعقوب "أخفي" بصيغة المفتتح بهمزة المتكلم والياء ساكنة، و"جزاء" منصوب على الحال من "ما أخفي لهم" وقد فسر النبي ﷺ أنه جزاء على هذه الأعمال الصالحات في حديث أغر رواه الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: "لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت". ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[1]. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أُخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبيَّ الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: السعي في رضوان الله والمبادرة إلى الأعمال الصالحة:

يدعو الحديث إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحات فإن الله تعالى بيّن أن ما ادخره في جنته إنما هو لعباده الصالحين، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" يقول ابن الجوزي: أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها،

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها وترك طلب العلو فيها[١]. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] وقد جاءت آيات القرآن آمرة بالمسارعة والمسابقة إلى الجنة بالمبادرة بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣] فإن الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة، والسرعة المشتقة منه قوله "وسارعوا" مجاز في الحرص والمنافسة في عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، فالمسارعة هنا تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة[٤].

لقد جاءت آيات القرآن وأحاديث السنة حاضّة على الحرص على الأعمال الصالحات والمبادرة بها، فإن ذلك طريق الجنة وسبيل الوصول إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٥] وبين الله تبارك وتعالى أن الأعمال الصالحة هي أحد شروط النجاة الأربعة من الخسران قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٦] وبين الله تعالى أن من السباق المحمود السباق على الأعمال الصالحات، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ١٨١.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/٨٨، ٨٩.

(٥) سورة البينة، آية: ٧.

(٦) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١] وبين الله تعالى أن الأعمال الصالحات تمهد السبيل لصاحبها إلى النجاة والفوز بجنان الرحمن، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٢] وسبيل لاستحقاق الحياة الطيبة في الدنيا وحسن الجزاء في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٥].

إن الأعمال الصالحات سبيل إلى محبة الله للعبد وعونه له، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي النوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، ...))[٦].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشويق والترغيب:

إنَّ ذكر الجنة وما أعد الله فيها لأهلها، فيه التشويق للناس والترغيب فيها، بالتمسك بأسبابها والاتصاف بصفات المستحقين لها كالصلاح والتقوى، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى "أعددت لعباد الصالحين" وأسلوب الترغيب من الأساليب

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ٤٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة مريم، آية: ٧٦.

(٥) سورة هود، آية: ٢٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

الدعوية المتميزة بقوة التأثير والإيغال في قلوب المدعوين، وذلك لما فيه من التشويق إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبل الداعي المسلم(١). ولقد حفلت آي الذكر الحكيم ووردت الأحاديث الشريفة بوصف الجنة وما أعده الله فيها للمتقين قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾(٢) ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من المتقين، ومن المحسنين ومن الذاكرين، ومن المخبتين ومن المنفقين ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٣))(٤).

إن التشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب لكنه يأتي بعده فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله. وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوّقهم به لحصول المرغوب به، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار تحصيلها.

وينتج عن ذلك استقامةً في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائجُ تربوية إيجابية ناجحة.

ومن أمثلة التشويق عند الرسول ﷺ:

أ-ما روي عن أبي هريرة قال: ((بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال بينما أنا نائم رأيتني في الجنة،فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمر

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣٦.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!))[1].

نلاحظ أن فقرات هذا الحديث تثير حواس النفس، وتظل تتطلع إلى ما سيُلقى إليها، بشوق ولهفة لمعرفة خبر المرأة والقصر والجنة، حتى يُخيّل للسامع كأنه ينظر إليها يقظة وهو يتمنى لو كان له حظ فيها.

ب-وروي أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[2].

ج-وروي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول زُمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يتغوطون. آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامُرهم الألوة، ورشحُهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخُّ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا))[3].

إن أحاديث الرسول ﷺ هذه كانت خطابًا لقوم رغبوا في الآخرة ورضوا بها وزهدوا في الدنيا، وكان التشويق فيها ظاهرًا جليًا مما يزيد الراغب حرصًا على العمل والجد والمثابرة لينال رغبته ويحظى بأمنيته[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٤٢، ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٥، ومسلم ٢٨٣٤.

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ٢٢٣-٢٢٥.

الحديث رقم (١٨٨٤)

١٨٨٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً، لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ. امْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ[١] – عُودُ الطِّيبِ – أزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِيْنُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية للبخاري ومسلم[٣]: ((آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ[٤]...، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا[٥] مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)).

قوله: (عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ). رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح[٦].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

زمرة: جماعة[٧].

كوكب دري: نجم شديد الإضاءة[٨].

---

(١) عند البخاري زيادة: (الألنجوج).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢٤٥، ومسلم ٢٨٣٤/١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٦، ومسلم ٢٨٣٤/١٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٣.

(٤) عند البخاري زيادة: (أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرتهم الألوة).

(٥) عند البخاري: (سوقهما) بلفظ الجمع، والمثبت لفظ مسلم.

(٦) الترغيب ٤٠٠/٤.

(٧) فتح الباري ٢٧٣/٦.

(٨) فتح الباري ٢٧٧/٦.

ولا يَتْفِلُون: لا يَبْصُقون[1].

رشحهم المسك: أي: تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كريح المسك[2].

مجامرهم: مباخرهم[3].

الألوةُ: عُودٌ يُتبخر به[4].

الحور العين: هن نساء أهل الجنة واحدتهن حوراء، وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها[5].

مخ سَاقِهما: ما يرى داخل العظم والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد[6].

بكرة وعشيا: أي: قدرهما[7].

الشرح الأدبي

ما أعظم البُشرىَ في هذا الحديث الشريف، وما أوفى الجزاء الذي ينتظر الصالحين من عباده يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، والسابقون السابقون. أولئك المقربون، هؤلاء هم أول زمرة يدخلون الجنة، وما أبهى هذه الصورة التي قرّب إلينا ملامحها رسول الله ﷺ لهؤلاء السابقين وهم يدخلون الجنة فهم على صورة القمر ليلة البدر، اي ليلة الرابع عشر من الشهر والبدر في تمامه، تغمر أنواره الآفاق، ويكسو بأضوائه كل الكائنات والعوالم الحية والجامدة، وهكذا هؤلاء السابقون، والمراد

---

(١) اللسان في (ت ف ل).

(٢) فتح الباري ٦/٣٧٣.

(٣) فتح الباري ٦/٣٧٣، ٣٧٤.

(٤) الوسيط في (أ ل و).

(٥) النهاية في (ح و ر).

(٦) فتح الباري ٦/٣٧٥.

(٧) فتح الباري ٦/٣٧٥.

تشبيههم بالبدر في الإضاءة والإشراق.

وما دام القمر أقرب وأكبر من حيث المشاهدة، اتصف به الفوج الأول، والقمر نور بارد؛ لأنه نور بغير حرارة، وينسكب النور الأبيض حتى ختام الحديث فتوصف النساء بالبياض الشديد إلى درجة الشفافية إذ يرى مُخ الساق خلف اللحم من الحسن، وهذا من مظاهر النعيم الذي يفوز به هؤلاء السابقون.

وأما الفوج الثاني فهم في توهجهم وإشعاعهم ونورانيتهم مثل أشد كوكب دري إضاءة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾[1]، والدري هو النجم الشديد الإضاءة، وقال الفراء: هو النجم العظيم المقدار، وهؤلاء أصحاب اليمين الذين ورد تفصيل النعيم المعد لهم في سورة الواقعة وهؤلاء حدد الحديث لهم عشرة ملامح تحدد قسماتهم وتوضح معالم نعيمهم وثوابهم.

ومن هذه الملامح أربع صفات نفيت عنهم وهي من خصائص الحياة البشرية، ولكنها صفات نقص، وتقدح في الكمال الذي صاروا إليه فهم لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون كما ورد في الحديث السابق، وتأمل هذا السجع من الكلمات، وهذا التوافق في صياغة الأفعال وتراكيب الجمل وتكرار (لا) يفيد التأكيد على نفي هذه الصفات لانها صفات نقص ملازمة للحياة البشرية الدنيوية.

ومن مظاهر النعيم: ثلاث صفات تشكل القسمات الخاصة، والملامح الذاتية فهم يتقلبون في أفياء النعيم المقيم "أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة أي عود الطيب، وأزواجهم الحور العين" والجمل كلها صيغت في قالب الجملة الاسمية الدالة على الثبات: فالنعيم مقيم، ثابت فهم خالدون فيه أبدًا، وهذه الصفات حقيقية وليست تشبيهية فمذهب أهل السنة - كما يقول النووي - أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة، والصفتان الباقيتان ترصدان هيأة هؤلاء المنعمين وملامحهم الحسية، فهم على خلق رجل واحد، وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء، وقيل: على خُلُق رجل واحد بضم الخاء واللام، أي على صفته

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

وطريقته والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تنعيم الله تعالى لأهل الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: انتفاء الحسد والتباغض بين أهل الجنة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة:

جاء في صريح الحديث بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة الجمالية والجسدية، فقال ﷺ "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ... على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء". قال القرطبي: (وقوله: "أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر" الصورة، بمعنى الصفة، يعني: أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وكماله، وهي ليلةُ أربعة عشر، وبذلك سُمِّي القمر بدرًا في تلك الليلة، ومقتضى هذا أن أبواب الجنة متفاوتة بحسب درجاتهم.

وقوله: "أخلاقهم على خُلُق رجل واحد" قد ذكر مسلم اختلاف الرواة في تقييد خُلُق؛ هل هو بفتح الخاء وسكون اللام، أو بضمها، وكذلك اختلف فيه رواةُ البخاري، والذي يناسب ما قبله الضم، فيكون معناه: أن أخلاقهم متساويةٌ في الحسن والكمال. كلُّهم كريمُ الخلق؛ إذ لا تباغض، ولا تحاسد، ولا نقص، ويشهدُ له قولُه فيما تقدَّم: "قلوبهم قلب واحد".

وقوله: "على طول أبيهم آدم، أو على صورة أبيهم" استئنافُ خبر آخر عنهم، ويحتملُ أن يريد به الخَلْق، بالفتح والسكون، ويكون قوله "على طول أبيهم" وما بعده مفسِّرًا لذلك الخلق، والأول أولى لما ذكرناه، ولأنَّا إذا حملناه عليه استفدنا منه فائدتين، ومن الوجه الثاني فائدةً واحدةً، وحمل كلام الشارع والفصحاء على تكثير الفوائد أولى، كما قررناه في الأصول.

وقوله: "ستون ذراعًا في السماء" أي: في الارتفاع، وكل ما علاك فهو سماء، ويعني بذلك: أنَّ الله تعالى أعاد أهل الجنة إلى خلقه أصلهم الذي هو آدم، وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة، وكان طولُه فيها ستين ذراعًا في الارتفاع من ذراع نفسه، والله أعلم. ويحتمل أن يكون ذلك الذراعُ مقدرًا بأذرعتنا المتعارفة عندنا، ثم لم يزل خلق ولده وطولهم ينقص)[1].

قال ابن حجر: (وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة)[2]. وقد وردت الأحاديث الكثيرة في صفة أهل الجنة عند دخولها، منها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يدخل أهل الجنة مردًا، بيضًا، جعادًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم))[3] (وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نسائهم بأنهم أتراب، أي في سن واحدة ليس فيهم العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تنعيم الله تعالى لأهل الجنة:

ذكر الحديث تنعيم الله تعالى لأهل الجنة وذكر من ذلك ثلاثة ألوان من ألوان النعيم وهي:

أ-التنزه عن المستقذرات:

فقال ﷺ "لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك". قال القرطبي: (وقوله: "لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون" إنما لم تصدر هذه الفضلات عن أهل الجنة؛ لأنها أقذارٌ مستخبثة، والجنة

---

(١) انظر: المفهم ١٧٩/٧، ١٨٢، ١٨٣.

(٢) فتح الباري ٤٢٣/٦.

(٣) أخرجه أحمد ٤١٥/٢ رقم ٩٣٧٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٢٠/٥.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

متنزِّهةٌ عن مثل ذلك، ولمَّا كانت أغذيةُ أهل الجنة في غاية اللطافة، والاعتدال، لم يكن لها فضلةٌ تستقذر، بل تُستطاب وتُستلذ، وهي التي عبَّر عنها بالمسك كما قال: "ورشحهم المسك". وقد جاء في لفظ آخر: "لا يبولون، ولا يتغوطون، وإنما هو عرقٌ يجري من أعراضهم مثل المسك" يعني: من أبدانهم)[1]. قال ابن حجر: (وقد اشتمل ذلك على نفي جميع صفات النقص عنهم، قال ابن الجوزي: لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه)[2]. روى عن زيد بن أرقم قال: ((جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ والشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ»، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَذًى قَالَ: «تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ»))[3].

ب- الأدوات والأواني:

جاء التصريح بها وبخاماتها، فقال ﷺ "أمشاطهم الذهب... ومجامرهم الألوة عود الطيب" وفي رواية "آنيتهم فيها الذهب" وقد ذكر القرآن أدوات أهل الجنة واستعمالاتها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[4] وقال ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[5] فالقوارير هي الزجاج، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون

---

(١) المفهم ج١٧٩/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣٧٣/٦.

(٣) أخرجه أحمد ١٩٢٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح (مسند أحمد ١٩/٣٢).

(٤) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٥) سورة الإنسان، آية: ١٥، ١٦.

تلك القوارير من زجاج فقال: "قوارير من فضة"، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير)[1]، وقال ابن حجر: (قال القرطبي: وقد يقال: أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ؛ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك؟ قال: ويجاب بأن نعيم أهلها من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم من جوع أو ظمأ أو عري أو نتن، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية، والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا)[2].

ج- الأزواج:

وذلك في قوله ﷺ "أزواجهم الحور العين" وفي رواية "ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن" وقوله: "وأزواجهم الحور العين" الحور: جمع حوراء. والحور في العين: شدَّة بياضها في شدَّة سوادها. هذا المعروف. قال أبو عمرو: الحور أن تسودَّ العين كلُّها مثل أعين الظباء والبقر. وليس في بني آدم حورٌ، وإنما قيل للنساء: حورُ العين لأنهن تشبَّهن بالظباء والبقر. قال الأصمعي ما أدري ما الحور في العين! والعين: جمع عيناءُ، وهي: الواسعة العين. وفي الصحاح: رجل أعين: واسع العين، والجمع: عُيْن، وأصله فُعل بالضم، ومنه قيل لبقر الوحش: عين، والثور أعين، والبقرة عيناء.

وقوله: "لكل واحدٍ منهم زوجتان" يعني: أن أدنى من في الجنة درجة له زوجتان، إذ ليس في الجنة أعزب، كما قال. وأما غيرُ هؤلاء فمن ارتفعت منزلته فزوجاتهم على قدر درجاتهم وبهذا يُعلم: أن نوع النساء المشتمل على الحور والآدميات في الجنة أكثر من نوع رجال بني آدم، ورجال بني آدم أكثر من نسائهم، وعن هذا قال ﷺ: ((أقلُّ ساكني الجنة نساء، وأكثر ساكني جهنم النساء))[3] يعني: نساء بني آدم هنَّ أقل في الجنة

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٢٥٥.

(٢) فتح الباري ٦/٢٤٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٨.

وأكثر في النار.

وقوله: "يُرى مخ ساقها من وراء اللحم" يعني: من شدَّة صفاء لحم الساقين، فكأنه يرى مخ الساقين من وراء اللحم، كما يرى السِّلك في جوف الدُّرة الصافية[1]. والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد، وذلك من الحسن في الخلق ولطف البدن[2]. وقد وصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[3] قال ابن كثير "وهذا نعت للحور العين، قال مجاهد والحسن والسري وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان، فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ[4]".

وكذلك شبه الله جمالهن بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[5] قال القرطبي: (مكنون أي مصون، قال الحسن وابن زيد: شبههن ببيض النعام، تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء، وقال ابن عباس وابن جبير والسدي: شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر وتمسه الأيدي، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خِباؤها   تمتعت من لهوبها غير مُعْجَل[6]

وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ، كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[7] أي في أصدافه، قاله ابن عباس أيضًا، ومنه قول الشاعر:

---

(١) المفهم ١٨٠/٧، ١٨١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٥٧.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٧-٥.

(٥) سورة الصافات، آية: ٤٩.

(٦) قافية اللام، البحر الطويل، خزانة الأدب ٣٨٤/١، والمعلقات السبع ٤٤٢/١.

(٧) سورة الواقعة، آية: ٢٢، ٢٣.

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغـ وّاص ميزت من جوهر مكنون[١]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: انتفاء الحسد والتباغض بين أهل الجنة:

صرح النبي ﷺ بذلك في الحديث، فقال "لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا" وقد ذكر القرآن الكريم انتفاء الغل بين أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٢] أي من حسد وبغضاء[٣]، كما جاء في صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إذا خَلَصَ المؤمنونَ منَ النارِ حُبِسوا بقَنْطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنار، فيَتقاصُّونَ مَظالِمَ كانت بينهم في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنَّةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم بمسكَنِهِ في الجنَّةِ أدَلُّ بمنزِلهِ كان في الدُّنيا))[٤] وقال القاسمي في تفسير قوله: ("ونزعنا ما في صدورهم من غل" أي نخرج من قلوبهم أسباب الحقد والحسد والعداوة، أو نطهرها منها، حتى لا يكون بينهم إلا التواد والتعاطف، وصيغة الماضي للإيذان بتحقيقه وتقرره)[٥].

وقال الطاهر بن عاشور: (والنزع حقيقته قلع الشيء من موضعه ونزع الغل من قلوب أهل الجنة: هو إزالة ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغل عند تلقي ما يسوء من الغير، بحيث طهر الله نفوسهم في حياتها الثانية عن الانفعال بالخواطر الشرية التي منها الغل، فزال ما كان في قلوبهم من غل بعضهم من بعض في الدنيا، أي أزال ما كان حاصلاً من غل وأزال طباع الغل التي في النفوس البشرية بحيث لا يخطر في نفوسهم.

والغِل: الحقد والإحنة والضغن، التي تحصل في النفس عند إدراك ما يسوؤها من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج٨/١٥/٨٠، ٨١. والبيت في الحماسة البصرية ٢/٢٠٧، وتاريخ دمشق ٦٣/٣٥٦، والكامل في الأدب ١/١٥٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٠.

(٥) محاسن التأويل ٥/٨٥.

عمل غيرها، وليس الحسد من الغل بل هو إحساس باطني آخر[١].

وقال الشيخ السعدي: ("ونزعنا ما في صدورهم من غل" وهذا من كرمه وإحسانه، على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودًا في قلوبهم، والتنافس الذي كان بينهم، أن الله يقلعه ويزيله، حتى يكونوا إخوانًا متحابين، وأخلاء متصافين.

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ويخلق الله لهم من الكرامة، ما به يحصل لكل واحد منهم، الغبطة والسرور ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم، نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

قوله: "تجري من تحتهم الأنهار" أي يفجرونها تفجيرًا، حيث شاؤوا، وأين أرادوا، إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات، أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات، ليس لها حد محدود[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، ففي ذكر النبي ﷺ لأهل الجنة ووصف ما فيها من نعيم أدعى ما يكون للمسلم بتحصيل أسباب هذه السعادة، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣] تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها، فكان من المتقين، ومن المحسنين، ومن الذاكرين، ومن المخبتين، ومن المنفقين، ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٤][٥]، لذا ينبغي الاهتمام بأسلوب الترغيب، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[٦].

---

(١) التحرير والتنوير، مج٤/٨/١٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٥٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

(٦) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

إن الجنة لهي النعيم المقيم والفوز الكبير، فلا ينبغي لعاقل أن يفوت على نفسه ذلك النعيم فيرد بنفسه موارد التهلكة والعياذ بالله.

يقول ابن الجوزي: (والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها، من غير مرض، ولا بصاق، ولا نوم، ولا آفة تطرأ؛ بل صحة دائمة، وأغراض متصلة، لا يعتورها منغص، في نعيم متجدد في كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى فأطيش، ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك، لولا أن الشرع قد ضمنه.

ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ههنا.

فواعجبًا من مضيع لحظة فيها. فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها.

فيا أيها الخائف من فوت ذلك، شجع قلبك بالرجاء. ويا أيها المنزعج لذكر الموت، تَلَمَّح مابعد مرارة الشربة من العافية، فإنه من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها، تنكشف المنازل لأصحابها، فيهون سير المجذوب للذة المنتقل إليه. ثم الأرواح في حواصل طير تعلق في أشجار الجنة.

فكل الآفات والمخافات في نهار الأجل، وقد اصفرت شمس العمر. فالبدار البدار قبل الغروب، ولا معين يرافق على تلك الطريق إلا الفكر إذا جلس مع العقل، فتذاكرا العواقب.

فإذا فرغ ذلك المجلس، فالنظر في سير المجدِّين، فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها شتى الفضائل، والتوفيق من وراء ذلك. ومتى أرادك لشيء هيأك له.

فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا من العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل.

والعزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية[1]).

(١) صيد الخاطر ٤٣٢، ٤٣٣.

الحديث رقم (١٨٨٥)

١٨٨٥- وعن المغيرةِ بن شعبة رضي الله عنه، عن رسُولِ الله ﷺ، قال: ((سألَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ: ما أدْنَى أهْلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجنَّةَ. فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأخَذُوا أخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فيقولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ في الخامِسَةِ. رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

أَخَذَاتهم: هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه أو يكون معناه: قصدوا منازلهم[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتسم في صياغته بالقالب الحواري، والحوار من وسائل الإقناع والتعليم والتوجيه، وهذا الحوار بين موسى عليه السلام وربه عز وجل يرويه محمد ﷺ للعظة والعبرة، ولتوضيح المزيد مما أعده الله للمؤمنين في الجنة.

والحديث يتضمن مقابلة بين نوعين من أهل الجنة وهما أدنى أهل الجنة منزلة،

(١) برقم ١٨٩/٣١٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٢٢٨، والنهاية في (أ خ ذ).

وأعلى أهل الجنة منزلة ، وهذه المقابلة لها تأثيرها الشديد المحبب في نفوس المتلقين، وكل الاجيال المسلمة ، ويبدأ الحوار بين موسى وربه بسؤال من موسى: عن أدنى أهل الجنة منزلة فقيل له هو رجل... إلخ.

ويتفرع عن حوار موسى مع ربه حوار آخر بين هذا الرجل الذي جاء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيسأل الرجل في محاولة لمعرفة الحقيقة ، وليس سؤالاً إنكاريًا ، أو سؤالاً مشحونًا بالاعتراض، ولكن الرجل يريد معرفة مكانه؟ وهل له مكان؟ والتعبير بقوله نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم كناية عن أنهم أخذوا ثوابهم وما أبقوا لغيرهم منزلاً ، وهذا الأدنى منزلة في الجنة هو الأعلى منزلة بين أهل الدنيا ، ولذلك نجد هذه البشارة الإلهية ، وهذا الوعد الرباني الصادق حين يقول له بعد أن ظن أنه ليس له مكان في الجنة أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: "رضيت رب" ، والاستفهام هنا للإقرار والترغيب، وليس على حقيقته؛ لأن الله يعلم السر وأخفى وقوله: "رضيت رب" يفيد سرعة الاستجابة ، وحذف النداء (يا) إيجازًا ويفيد المسارعة لذكر الرب، وفي قوله: "مُلك ملك من ملوك الدنيا" جناس مُحرّف، وفيه إيحاء بأن ملك الدنيا لا يقاس مهما اتسع وامتد زمنه بنعيم الجنة ، فالأدنى منزلة من أهل الجنة يكافئه الله بعشرة أمثال ما يملكه ملك في الدنيا وتكرار قوله: (ومثله أربع مرات) يفيد مضاعفة الثواب حتى إذا ذكر الخامسة قال الرجل: رضيت رب، ويمنحه الله ما يشاء ثم يعطيه المزيد (هذا لك وعشرة أمثاله).

وتكرار قوله: "رضيت رب" ثلاث مرات يؤكد أن النعيم الذي يُعطاه الأدنى منزلة مضاعف، وجزيل، والمنعم عليه يُقر بالرضا وهو يسبح في ظلال نعمة المنعم الرازق الوهاب.

وفي قوله: (لك ذلك) بلاغة تشير إلى مكانة العطاء الإلهي، والسياق كان يقتضي أن يقول: لك هذا ، ولكنه عدل عن اسم الإشارة للقريب إلى "ذلك" ، وهو للبعيد ، وكما قال العلماء: أشير إليه مع قربه بما يشار به للبعيد تفخيمًا وتعظيمًا ، ثم يقول الله لهذا الأدنى منزلة ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك وهذا شامل لكل أحد من الجنة ، وإذا

كان هذا النعيم وهو حظ الأدنى منزلة، فما شأن الأعلى منزلة وهذا هو مصدر العجب في سؤال موسى حيث قال: رب فأعلاهم منزلة؟ اي ما شأنه فقال الله: "أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها" واسم الإشارة أولئك يوحي بعظم قدر هؤلاء، واسم الموصول يومىء إلى تميزهم أكمل تمييز، وهم خصوا بالنعيم بمحض القدرة من الله مباشرة من غير توسط ملك ولا غيره زيادة في كرامته، وقوله: "وختمت عليها"، كناية عن أن هذا النعيم لا يراه غيرهم، فقد أعد لهم ما لم تره عين، وما لم تسمعه أذن، وما لم يخطر على قلب بشر ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال نبي الله موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله الواسعة وإكرامه أهل الجنة.

رابعًا: من صفات أهل الجنة: الرضا.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان أعلى أهل الجنة منزلة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال نبي الله موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة:

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الحديث، فقال: (سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟)، قال النووي: "ومعناه: ما صفة أو ما علامة أدنى أهل الجنة"[2]، وسؤال الأنبياء عليهم السلام لله تعالى ليس من قبيل الشك ونحوه، وإنما هو من قبيل التطلع إلى طلب المعرفة وزيادة العلم، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3]، وارتقاء إلى الدرجات العلى في المعرفة واليقين، كما جاء في طلب إبراهيم عليه السلام أن يريه كيفية إحياء

---

(١) سورة ق، آية: ٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٨.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، قال القاسمي: (أي: بلى آمنت ولكن سألت لأزداد بصيرة وسكون قلب برؤية الإحياء، فوق سكونه بالوحي، فإن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين)[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك معنا في سؤال موسى عليه السلام لله تعالى وإجابة الله لموسى عليه السلام على أسئلته: (سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة...)، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، خاصة لدى طارحي الأسئلة، الذين هم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية وحامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[3]، وقد تكرر السؤال والجواب في القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[4]، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رحمة الله الواسعة وإكرامه أهل الجنة:

يتجلى في الحديث لون من ألوان الرحمة الإلهية بأهل الجنة وذلك بمضاعفة العطاء، فيقال له: (ادخل الجنة فيقول: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملِك من ملوك الدنيا؟

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٢/٣/٢٢١.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب)، وذلك أن الله سبحانه وتعالى شاء وأبى إلا أن يعامل أهل الجنة بالفضل ومضاعفة الأجور والعطايا، ومن الآيات الدالة على ذلك: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، فهو سبحانه فضله واسع كثير أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق[2]، وفي الآية دليل على أن المضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى[3].

وإكرام الله عز وجل الإنسان بالجنة ودخولها ليس بالتمني وإنما بالإيمان والعمل، يصحب ذلك كله صدق النية. (فليس دخول الجنة بالتمني والتشهي، ولكن بالإيمان والطاعة ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[4].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

فالمؤمن الذي يدخل الجنة إما أن يكون فاعلاً للخير داعيًا إلى الله، باذلاً الجهد في سبيل إعلاء كلمته، عاملاً على ذلك بنفسه وماله ولسانه، فيكون من الذين جاهدوا، فإن لم يستطع فعليه – على الأقل- ألا يكون منفعلاً بالشر، ولا متبعًا لدعوته، وأن يسلم بنفسه وأهله، وأن يصبر على ما يلقى في سبيل تمسكه بدينه، فيكون من الصابرين.

فإذا انتهى الحساب، واجتاز المؤمن الصراط، تحققت النجاة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٩٣/١.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٤٢/٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾[١].

إن الجنة أكبر من أن توصف، علوًا ونعيمًا ومساحة وسعة وما شاكل ذلك. أما سعتها فإن عرضها عرض السموات والأرض، ولا تعجبوا من هذا فإن الآخرة بالنسبة لهذه الدنيا كهذه الدنيا بالنسبة لبطن الأم. أما يرى الجنين بطن الأم دنياه كلها؟ أو ليست دار واحدة من دور الدنيا أوسع من دنيا الجنين بآلاف المرات؟

هذه الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، ومن هم المتقون الذين أعدت لهم؟ وماذا كانوا يصنعون؟ لعلنا نصنع مثلهم فنكون معهم، لقد بيّن أن المتقين هم: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[٣].

هذه بعض صفات المتقين، فمن اتصف بها بعد تصحيح العقيدة، وصدق التوحيد، أدخله الله بكرمه ومنّه هذه الجنة التي أعدّها لهم.

والجنة درجات: ففيها جنة النعيم، وهي أبعد من أن ينالها كل واحد: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[٤].

وهي للسابقين السابقين: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٥].

وفيها الجنة التي سماها الله "الغرفة"، ووعد بها عباد الرحمن، الذين وصفهم في سورة الفرقان بأنهم الذين يجمعون صحة الاعتقاد، واستقامة السلوك، وكثرة العبادة،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣، ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٤، ١٣٥.

(٤) سورة المعارج، آية: ٣٨.

(٥) سورة الواقعة، آية: ١١، ١٢.

وعلو الأخلاق، فدل ذلك على أن "الغرفة" درجة عالية في الجنة، خص بها هؤلاء الذين جمعوا صفات الكمال، وصبروا على مشقة القيام بها، وصرف النفس عن رغبتها في التملص منها.

في الجنة: مكان اسمه: "جنة المأوى"، ومكانًا اسمه: "جنات عدن"، "ولمن خاف مقام ربه جنتان" لا جنة واحدة، وأن فيها ما دعاه بـ"عليين"؛ دلَّ ذلك على أن نعيمها درجات، وأهلها منازل.

ومن مظاهر نعيم أهل الجنة: اجتماعهم بإخوانهم وأهليهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[1].

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3].

يجتمعون على ود وصفاء ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[4] وحقد.

تُصَفّ لهم الأَسِرَّةُ والأرائك، فتكون مجالسهم عليها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾[5].

يقعدون عليها: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾[6].

عليها فرش بطائنها من شيء نفيس، سماه ربُّنا "الاستبرق" وحولهم جنتان ملتفتان، ثمارهما قريبة من أيديهم، دانية منهم.

يخدمهم فيها خدم صغار: ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[7]، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٧٠.

(٢) سورة يس، آية: ٥٦.

(٣) سورة الطور، آية: ٢١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٧.

(٥) سورة الطور، آية: ٢٠.

(٦) سورة الحجر، آية: ٤٧.

(٧) سورة الطور، آية: ٢٤.

ءَامِنِينَ ﴾[1]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[2].

والطعام يطاف به: ﴿عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾[3].

أما شرابهم فيحمل إليهم: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[4].

يؤتى إليهم بكل ما يريدون من طعام: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[5]، ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[6]، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[7]، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[8]، فوجوههم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[9].

ويقصدون من اركان الجنة حيث شاؤوا، يتقابلون فيها ويتحدثون ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[10].

لا يقولون إلا خيرًا ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[11].

---

(١) سورة الدخان، آية: ٥٥.

(٢) سورة الصافات، آية: ٤٥-٤٧.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٤) سورة الواقعة، آية: ١٨.

(٥) سور الواقعة، الآيات: ٢٠-٢١.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٢٨-٣٤.

(٧) سورة الإنسان، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٨) سورة المطففين، آية: ٢٤.

(٩) سورة الغاشية، الآيتان: ٨، ٩.

(١٠) سورة يونس، آية: ١٠.

(١١) سورة الطور، آية: ٢٥-٢٧.

وهذا: من ثمرة الدعاء والاستغفار ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فإذا تحدثوا تذكروا في أحاديثهم أيام الدنيا، وأحوال أهلها، وما كان من أمرهم فيها، وما انتهوا إليه في الآخرة.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[2].

قال (أي المؤمن في الجنة لإخوانه فيها): ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾[3] على أهل النار لتروهم فيها؟

ودل ذلك على أنهم يستطيعون الاطلاع عليهم ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[4].

قال له (وهذا وما يأتي بعده يدل على أن أهل الجنة وأهل النار يتبادلون الحوار): ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[5]. ويمنّ عليهم ربهم بالحور العين، يزوجهم بهن. ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[6].

أنشأنهن إنشاءً، فجعلنهن: ﴿أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[7] قاصرات الطرف "من الحياء" ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[8].

---

(١) سورة الطور، آية: ٢٨.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥١-٥٣.

(٣) سورة الصافات، آية: ٥٤.

(٤) سورة الصافات، آية: ٥٥.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٧) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٨) سورة الرحمن، آية: ٥٦.

وأهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(١)].

يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾.

﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٢)]، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[(٣)]، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾[(٤)]، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[(٥)].

يحيونهم ويهنئونهم يقولون: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[(٦)]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾[(٧)]، ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾[(٨)]، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾[(٩)].

اللهم برحمتك التي وسعت كل شيء، وعفوك ومغفرتك -وأنت العفو الغفور- أعذنا من عذاب النار، وأدخلنا الجنة بسلام[(١٠)].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٨.

(٤) سورة الدخان، آية: ٥٦.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٣.

(٦) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٨) سورة الصافات، آية: ٦٠، ٦١.

(٩) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(١٠) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ص ١١٦-١٢٠.

رابعًا- من صفات أهل الجنة: الرضا:

جاء التصريح في الحديث بما يجده أهل الجنة من الرضا بما أعطاهم الله إياه في قوله: (فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله...)، وذلك الرضا عام في جميع أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن اللَّهَ يقولُ لأهلِ الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون لبّيكَ ربَّنا وسَعدَيك. فيقول: هلَ رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك قالوا: يا رب وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بعدَهُ أبدًا))[1]، فإن من أعلى درجات النعيم في الجنة رضا الله عن أهلها، ورضا أهل الجنة بما آتاهم الله من فضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾[2]، أي: لا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم)، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم، فهو سبحانه رضي عنهم بما قاموا من مراضيه ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان أعلى أهل الجنة منزلة:

لقد سأل موسى عليه السلام ربه عن أعلى أهل الجنة منزلة: (قال رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)، قال النووي: ومعناه: اخترت واصطفيت، وأما: غرست كرامتهم بيدي إلى آخره، فمعناه: اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم

(١) أخرجه البخاري ٦٥٤٩، ومسلم ٨٢٩.

(٢) سورة البينة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٦١.

تغيير"[١]، فالله سبحانه وتعالى غرس كرامتهم بمحض قدرته، من غير توسط ملك ولا غيره زيادة في كرامتهم وختم عليها لئلا يراها غيرهم مبالغة فيما ذكر [٢]، وجاء في رواية: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، قال ابن كثير: "أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر[٤]".

إن المسلم إذا استحضر ما أعده الله لعباده من النعيم الدائم والحياة الهنيئة والعيشة الراضية وما في الجنة من رفعة الدرجات، وعندما يعلم أنه يجازى يوم القيامة بالإحسان إحسانًا وبالتوبة عفوًا وغفرانًا، يجتهد في فعل الطاعات التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، وامتنع عن كل ما يغضب ربه مهما كان.

وإن الذي يزداد من فعل الطاعات، يزداد شوقًا إلى الجنات ويحن إليها، وذلك لما يعلمه من صور النعيم حتى يدخل الجنة، فالإمام العادل والشاب الذي نشأ في عبادة ربه، وباقي من ذكروا في الحديث المشهور، والذين ييسرون على المعسرين، والذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم، والذين يعدلون في حكمهم، والشهداء والمرابطون والكاظمون للغيظ، والذين يشيبون في الإسلام، والوضوء، والذين لا يَرْقُون ولا يَسْتَرْقون ولا يَكْتَوُون وعلى ربهم يتوكلون وغير ذلك من الطاعات كثير، وورد في الأحاديث الصحيحة أن أهلها ينعمون بتلك الطاعات في يوم القيامة وعند دخول الجنة[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٥٨.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٦٧.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس بن ناصر الغامدي، ص ٥٨٥.

الحديث رقم (١٨٨٦)

١٨٨٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وآخِرَ أَهْلِ الجنَّةِ دُخُولاً (الجنَّةَ) [١]. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجنَّةَ، فيَأتِيهَا، فيُخَيَّلُ إليْهِ أنَّهَا مَلأى، فيَرْجِعُ، فيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى! فيَقُولُ اللهُ عز وجل له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيها، فيُخيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُها مَلأى، فيقولُ اللهُ عز وجل لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ. فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وعَشرَةَ أمْثَالِهَا؛ أوْ: إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أمْثَالِ الدُّنْيَا، فيَقُولُ: أتَسْخَرُ بِي، أوْ: تَضْحَكُ بِي وَأنْتَ المَلِكُ)) قال: فَلَقَدْ رَأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: (ذلِكَ أَدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً) متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حبوًا: يمشى على يديه وركبتيه أو استه[٣].

نواجذه: أي: أواخر أضراسه، أو الأنياب[٤]، ومفردها: ناجذ.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يصاغ في قالب حواري بين الله عز وجل ورجل من خلقه.. وهو آخر من يخرج من النار.. وهذا الحوار برهان على رحمة الله عز وجل، وعفوه عن كثير من العصاة الذين يأخذون عقابهم في النار، ثم عندما تنتهي عقوبتهم ينعم الله عليهم بدخول الجنة.

---

(١) (الجنة) ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم ٧٥١١.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧١) واللفظ له، ومسلم ١٨٦/٣٠٨.

(٣) النهاية في (ح ب ر).

(٤) النهاية، والقاموس المحيط والوسيط في (ن ج ذ).

والحديث يتضمن عدة ملامح جمالية، وظواهر أسلوبية ومنها:

أ- التأكيد في أول الحديث: وهو على لسان رسول الله ﷺ حيث يقول مؤكدًا الخبر حتى لا يتشكك المرجفون في صدق هذه المحاورة المبشرة الواعدة بكرم الله وعفوه فيقول: إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، واللام لمزيد من تأكيد الخبر، وقوله: لأعلم يجعل الخبر يقينًا؛ لأن الرسول لا ينطق عن الهوى وهو الذي علمه ربه وأدبه.

ب - المقابلة بين الموقفين المتعلقين بالرجل... موقف الخروج من النار، وموقف دخول الجنة وهذه المقابلة التي تدعو للتأمل تقود المسلم إلى عدم اليأس وإلى التطلع إلى عفو الله ورحمته حتى ولو دخل النار فإنه سيأخذ جزاءه ثم يمن الله عليه بالعفو... ويدخله الجنة ليحظى بالنعيم السرمدي الذي لا يزول، والطباق الذي يتمم الصورة المقارنة ويدعو لتأمل الأضداد، يبرق ويشع حين تتأمل الدلالة المنبعثة من التوازي من هذين التعبيرين، آخر أهل النار خروجًا، وآخر أهل الجنة دخولاً وقوله (حبوًا) تصوير لهيئة ذلك الذي نجا من النار، وبرهان على فرحته فهو يسرع بالخروج وهو مرهق لكنه متشوق إلى دخول الجنة ويوحي قوله (حبوًا) بالشوق إلى الجنة، وكراهية النار وهذا لا مراء فيه.

ج - التكرار في الحديث الشريف من أسرار جمال أسلوبه، وأسرار هذا التأثير النفسي الذي يشعر به القارئ، فهو يرغب المسلم في أن لا ينقطع رجاؤه، وأن لا يمنعه حياؤه من تمني العفو، وطلب الرحمة،وقد تكرر الأمر بالذهاب إلى الجنة ودخولها ثلاث مرات، وذلك لتأكيد العفو، والفوز بالجنة،وقد تكررت جملة: "فيخيل إليه أنها ملأى"، والتعبير بقوله "يخيل إليه" يفيد أن ظنه غير صحيح فالخيال غير الحقيقة، فالجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، فكيف تضيق بالصالحين؟! وتكرار قوله: يا رب وجدتها ملأى مرتين يؤكد عفو الله ورحمته فرغم تردد الرجل، فالله سبحانه وتعالى يأمره بأمرين قد تكررا قبل ذلك: "اذهب فادخل الجنة"، ثم يؤكد له ثوابه المنتظر في قوله: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

د - الاستفهام التعجبي في قول الرجل: "أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك؛ لأن الرجل يستبعد هذا الإكرام الأعظم حسب منطق البشر، وقال القاضي عياض: وقع منه هذا القول وهو غير ضابط لما قال إذ وَلَه عقله من السرور بما لم يخطر بباله!! وقال القرطبي: استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك، وختام الحديث يفصح عن المقصود من الحديث وهو الترغيب في التوبة، والثقة في عفو الله ورحمته فقال وهو يبتسم إعجابًا وسرورًا بنعم الله وكرمه وعفوه ورحمته بعباده "ذلك أدنى أهل الجنة منزلة"، وكأنه يقول: فما بالكم بما يفوز به الأعلى منزلة في الجنة؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إعلام الله تعالى لنبيه بآخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولاً.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: بيان عظم الجنة ونعيمها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لحال أدنى أهل الجنة منزلة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إعلام الله تعالى لنبيه بآخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولاً:

جاء ذلك في صريح الحديث، فقال ﷺ: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولاً..)، وذلك من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته، بإطلاع الله له من الغيوب المقبلة والمستقبلة وإخباره عنها، فمن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله إلى نفسه الكريمة في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1]، وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى

(١) سورة النمل، آية: ٦٥.

تفيد أن الله تعالى استثني من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1]، أي أن الله عنده علم الغيب وهو ما غاب عن العباد، فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات "ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم" قال قتادة ومقاتل: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة "وأحاط بما لديهم" أي أحاط علمه بما عندهم، وقال ابن جبير: والمعنى ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالات ربهم "وأحصى كل شيء عددًا" أي أحاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء[2]، فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الأخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى، وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[3]، قال القاضي عياض: ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون، من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

تكرر أسلوب الأمر في الحديث فيما رواه النبي ﷺ عن رب العزة والجلال: (اذهب فادخل الجنة... اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها)، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية البارزة والمفيدة لما فيها من إيقاف المدعوين على الخير والخلاص وأمرهم به وحثهم عليه، وقد تكرر هذا الأسلوب في القرآن كثيرًا ومنه قوله

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج١٠/١٩/٢٧-٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٤٢ - ٥٤٣.

(٤) كتاب الشفا، القاضي عياض ٢/٣٢٩.

تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(١)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾(٢)، وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيق مقتضاه، والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكأ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله تعالى وطاعته(٣).

ثالثًا- من أهداف الدعوة: بيان عظم الجنة ونعيمها:

لقد رفع الله من مقام أهل الجنة وأعلى من منزلتهم، فلا يتصور بشر ما أعطاهم الله من فضل وما أغدق عليهم من نعم، فأدناهم منزلة وأقلهم درجة يزيد أجره على ما يماثل أعظم ملوك الدنيا أضعافًا مضاعفة، بل له من الثواب قدر ما في الدنيا من النعيم عشر مرات وأن الجنة فيها من الاتساع ما لا يمكن حصره أو إدراكه، وفيها من النعيم ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن ولم يحم حوله خيال(٤) ولم يرد على خاطر بشر.

وفي ذلك حثٌ للناس على الطاعة والامتثال لأوامر الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ، وتحمل مشاق الإتيان بها، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾(٥)، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل الجنة، فما بالنا بما فوقها من المنازل والدرجات، فعن أبي مسعود رضي الله عنه: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فأدخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا)، وقد جاءت آيات القرآن الكثيرة مبينة للجنة وأوصافها وما

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠ - ٥١.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٨٤٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٧٢.

فيها من نعيم مقيم لا يتحول ولا ينفد، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾[١]، وقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٢]، إلى غير ذلك من الآيات، "فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات، ونافسوا في أفعال الخيرات، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات، يسكنكم مولاكم الجنات ويبوئكم أعلى الغرفات، ويرفع لكم الدرجات[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لحال أدنى أهل الجنة منزلة:

جاء ذلك في الحديث وما دار بينه وبين رب العزة والجلال من حوار، فيقول الله عز وجل: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك، قال القرطبي: (وقوله: أتسخر مني وأنت الملك؟"، وفي اللفظ الآخر: "أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟" يحتمل أن يكون هذا القولُ صدر من هذا الرجل عند غلبة الفرح عليه، واستحقاقه إياه، فغلط كماغلط الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك". ويحتمل أن يكون معناه: أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من الاستهزاء والسخرية بأعمالي وقلة احتفالي بها، فيكون هذا على جهة المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[٤]، و﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[٥])[٦]. قال القاضي عياض: "هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير

(١) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٥٤.

(٦) المفهم ج٧/٢٠٣.

ضابط لما قاله، لما ناله من السرور، ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشًا وفرحًا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق"[١]، فذلك هو حال ومنزلة أدنى أهل الجنة فما بالنا بأعلاهم منزلة، فحُقَّ لعين ترجو الجنة ألا تنام، وُحقَّ لعين تخشى النار ألا تنام لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولكْن حكمةٌ من الله عز وجل وابتلاءٌ وامتحانٌ أن الناس في هذه الدنيا كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها مع أن الدنيا هي التي خلقت لهم، إن الإنسان إنما خلق للآخرة، فهي الدار الباقية التي لا تفنى [٢]، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٣]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٤]. أي تقدمون الحياة الدنيا على أمر الآخرة "والآخرة خير وأبقى" أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبًا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد)[٥]. فحُقَّ لعين ترجو الجنة ألا تنام، وحق لعين تخشى النار ألا تنام؛ لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولكن حكمة الله عز وجل وابتلاء وامتحان أن الناس في هذه الدنيا كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها مع أن الدنيا هي التي خُلقت لهم، إن الإنسان إنما خُلق للآخرة، فهي الدار الباقية التي لا تفنى، فإما في جحيم وسعير - والعياذ بالله- وإما في نعيم مقيم، نسأل الله لنا ولكم أن نكون من الصالحين الذين أعد الله لهم ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٢٢٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٩١٤/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٨٢/٨.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٤/٢.

الحديث رقم (١٨٨٧)

١٨٨٧- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((**إنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها (فِي السَّمَاءِ)** [١] **سِتُّونَ مِيلاً. لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**)) متفق عليه[٢].

(**المِيلُ**): سِتة آلافِ ذِراعٍ، وهو بطول ١٥٠٠ متر.

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهدًا من مشاهد نعيم الجنة، وهو وصف المكان الذي أعده الله للمؤمن، الذي لم ينفصل عن زمرة المتقين ولا الأبرار، فصار معهم في جنات وعيون، وفي مقام أمين، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، فيسقون من رحيق مختوم ختامه مسك.

والمكان هنا بيت المؤمن وهو خيمة من اللؤلؤ وهذا نعيم لا مثيل له في المكان الدنيوي، لأن البيت لؤلؤة واحدة مجوفة، وليست لآلئ متعددة مفككة ثم يعاد تركيبها حتى تصبح بيتًا، كما يحاول بعض المترفين في الدنيا "فقوله واحدة مجوفة" إشارة إلى تفرد هذا الصنيع لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، والحديث يبدأ بتأكيد هذا الوصف وتأكيد الخبر المسوق له فيقول: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لولؤة واحدة مجوفة"، وفي هذه العبارة مع التأكيد تقديم وتأخير، حيث قدم قوله: "للمؤمن" جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر إن، وقوله: "لخيمة" اسم إن منصوب، واللام فيه للإشعار بالقسم ولمزيد من التأكيد على صدق الخبر، وصواب الوصف، وعدم

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ٢٨٣٨/٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٧٩، ومسلم واللفظ له ٢٨٣٨/٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٧٣.

المبالغة فيه، وأي بهاء يفوق ذلك البهاء، وأي جمال ينافس جمال ذلك المكان فالبيت خيمة من لؤلؤة عظيمة واحدة، وليست قطعًا مجمعة من هنا ومن هناك!! وهي متسعة ومشعة في كل اتجاه فطولها ستون ذراعًا، وكذلك عرضها في بعض الروايات.

ومن كمال النعيم أن الله أعد للمؤمنين كل ما يتمتع به فقال رسول الله ﷺ: (للمؤمن فيها أهلون) وهنا تقديم وتأخير في تركيب الجملة، حيث قدّم لفظ (المؤمن) لأهميته ولأنه المكرم من قبل ربه، ومن حقه أن تكون له الصدارة حتى في نسق الكلام، "وأهلون": مبتدأ مؤخر، وتأخير هذا المبتدأ من أسراره الجمالية التشويق والتساؤل ماذا للمؤمن فيها، فيحدد الوعد بأنهم (أهلون) وجاء في صيغة النكرة للإشعار بعموم النعيم، وأهلوه في الجنة لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وقال "فيها": ولم يقل "بها"، لأن فيها تفيد التمكن والظرفية فهي أكثر دلالة على تحقق هذا الجزاء الأوفى، والتعبير بالمضارع في قوله: "يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا"، يوحي بالسعي الدائم، والحركة المتجددة، فالمؤمن في هذا النعيم يتحرك في قلب أضواء هذه اللؤلؤة المشعة في كل اتجاه، وعلى الرغم من ذلك تحدث المفارقة العجيبة حيث لا يرى الأهلون بعضهم بعضًا!! ولا نظير لذلك في المتاع الدنيوي، وقيل إن عدم الرؤية: لمزيد سعة اللؤلؤة، وكمال تباعد مابينهم، وإما بستر ذلك عن الآخرين لحكمة تقتضيه والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم ما في الجنة من خيام وأشجار ونحوها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم أشجار الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تمتع المؤمنين بنعيم الجنة.

اولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم ما في الجنة من خيم واشجار ونحوها:

جاء في الحديث بيان من رسول الله ﷺ لمدى السعة وعظم النعمة في الجنة، ومن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٨٧- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٨٨).

ذلك ما جاء في الحديث من بيان ما أعده الله من خيمة لكل مؤمن، فقال ﷺ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ، واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، ولا يرى بعضهم بعضًا)، وفي رواية لمسلم: (في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن)، قال النووي: "ولا معارضة بينهما فعرضها في مساحة أرضها وطولها في السماء، أي: في العلو متساويان"[(١)]، وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلى شواطئ الأنهار[(٢)]، وقد جاء ذكر الخيام في عدة مواطن في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[(٣)]، وبيان لمدى سعة هذه الخيام ذكر النبي ﷺ أن في كل زاوية أهلون لا يرى بعضهم بعض: (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا)، قال ابن علان: "إما لمزيد سعتها وكمال تباعد ما بينهم، وإما بستر ذلك عن الآخرين لحكمة تقتضيه"[(٤)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم أشجار الجنة:

ورد ذلك المعنى في قوله ﷺ: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها)، قال النووي: (قال العلماء: والمراد بظلها كنفها وذراها وهو ما يستر أعضائها)[(٥)]، وذلك دليل على سعة الجنة وسترها وحسنها [(٦)]، وقد ذكر القرآن أن من أجناس النعيم في الجنة الظل الممدود، قال تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[(٧)]، وقد جاء في رواية البخاري للحديث: (اقرؤوا إن شئتم: وظل ممدود)، فلعظم أشجار الجنة

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٦.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٢٧٥.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٢.

(٤) دليل الفالحين ١٨٦٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٦٥٣.

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٩١٥/٢.

(٧) سورة الواقعة، آية: ٣٠.

فإن ظلها ممدود لا ينقطع، فليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر[1]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً﴾[2]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تمتع المؤمنين بنعيم الجنة:

إن الجنة هي دار الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودار الذين اتقوا ربهم ودار عباد الله المخلصين، ودار الذين يخافون ربهم ودار الموفين بعهد الله إذا عاهدوا ودار المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ودار التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين لله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وقد وصف الله الجنة لأصحاب هذه الصفات وما شابهها من الصفات التي يحبها، حتى تطمئن قلوبهم وتقوى عزائمهم على فعل الطاعات[5]، ونعيم الجنة منه ما هو مادي حسي ومنه ما هو روحي معنوي، ومن ألوان النعيم الحسي ما جاء في الحديث، حيث ذكر النبي ﷺ في الحديث ألوانًا من تمتع المؤمنين بما في الجنة من نعيم، فذكر عظم الخيم وفخامتها وسعتها فقال ﷺ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً)، كما ذكر ما وهبه الله للمؤمنين من أهلين يطوف عليهم: (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضُهم بعضا)، كما ذكر تمتعهم بالظلال، وعدم تعرضهم لحر أو عرق أو ما شاكله، فقال ﷺ: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها)، وقد تضافرت الآيات والأحاديث في بيان ما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٢٩/٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٧.

(٣) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٤) سورة المرسلات، آية: ٤١.

(٥) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبّارة، ص ١٢٨.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[1]، وقال عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2]، قال ابن الجوزي: "أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها واشتاق إلى نعيمها، لهي عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها[3]".

إن الجنة هي مأوى المؤمنين به والمسلمين له، وأنها مراتب، ودرجات تتناسب مع مستوى الإيمان والمعرفة والخشية والعمل الصالح الذي قدمه مستحقها في الحياة الدنيا، وإن في الجنة أنواعًا لا تحصى من النعيم المادي والروحاني وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإن عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين وإن فيها الفردوس الأعلى المعدُّ لأكرم الخلق على الله إلى غير ذلك من أمور كثيرة[4].

لقد أكثر الله عز وجل من ذكر نعيم الجنة في كتابه الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5]. وقال أيضًا: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٣٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٤.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي ص ١٨١.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٥) سورة الدخان، آية: ٥١-٥٧.

ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[1]. وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾[2]. وبالجملة فإن ما جاء في وصف الجنة من نعيم إنما هو قليل من كثير، أما الإحاطة بما فيها من النعيم، ومعرفة ما أعد فيها للمؤمنين فلا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في صريح الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا وإن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[3]))[4]. أي فلا يعلم أحد عَظَمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقًا فإن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: (أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر)[5].

---

(١) سورة ق، آية: ٣١-٣٥.

(٢) سورة الطور، آية: ١٧-٢٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٥/٦.

الحديث رقم (١٨٨٨)

١٨٨٨- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إنَّ في الجنَّةِ لشَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّريعَ مِئَةَ (سَنَةٍ) [1] مَا يَقْطَعُها)) متفق عليه[2].

ورواه في الصحيحين[3] أيضًا من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها)).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

الراكبُ الجوادَ: راكبُ الفرسَ النجيبَ[4].

المضمر: السابق الحيد[5]، الذي عُلف جيِّدًا، ثم رُكض (أجرى) في الميدان أربعين يومًا؛ ليخفَّ وزنه ويدقَّ وتشتد عضلاته [6].

الشرح الأدبي

وصف الله سبحانه وتعالى الجنة بأن عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، والجنة هو الاسم العلم، أو الاسم الشخصي -إن جاز التعبير- للمكان الذي وعد الله عز وجل عباده المتقين، والقرآن الكريم، والحديث الشريف استخدما لفظ الجنة على هذا المفهوم، وتلك الدلالة، أي على أنها الاسم العلم، ثم استعمل القرآن بعد ذلك أسماء هي صفات لهذه الجنة أو أسماء المنازل فيها، ولأن الجنة درجات جعل الله عز وجل لكل

---

(١) عندهما بلفظ: (عام).

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٥٣، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٨١، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٦/٧.

(٤) الوسيط في (ج و د).

(٥) النهاية في (ض م ر).

(٦) الوسيط في (ض م ر).

صنف من عباده المتقين درجة منها، ومن هذه الأسماء: الفردوس، وعدن، والنعيم، والخلد، والمأوى، ودار السلام، وطوبى، والغرفة أو الغرف[1].

والحديث في صياغته اللغوية يعد كتلة واحدة مترابطة لا يتم المعنى المراد منه إلا إذا أتممنا قراءة الحديث كله، فهو جملة كلية توحي باتساع الجنة، وهذا الاتساع أراد رسول الله ﷺ أن يقربه إلى أذهان البشر القاصرة التي لا تدرك إلا ما يكون في متناول الحس، أو المألوف المتبع، وتصوير اتساع الجنة اقتضى الجمع بين عناصر عدة وهي العنصر الإنساني الراكب، وعنصر الحيوان وهو الجواد المضمر، وعنصر النبات وهو شجرة وعنصر الزمن وهو مائة سنة يقطعها.

وهذا التصوير لتقريب المفاهيم إلى الناس، لأن مداركهم قاصرة، وبدأ الحديث بتأكيد الكلام حتى يقطع الطريق على المنكرين والمتشككين، وقدم "في الجنة"؛ لأن المقصد هو الإخبار عن اتساع الجنة حتى لا ييأس المذنبون حينما يتوبون، فالله يطمئنهم أن الجنة تسع كل الصالحين مهما كانت كثرتهم، وجملة كلمة (شجرة) للتعظيم والتفخيم، ووصف الجواد بأنه مضمر وسريع، للإيحاء بقوته وسرعته ولنتأمل، ولنتخيل (جواد ضامر سريع يجري مائة سنة متواصلة) ولا يقطع المسافة التي تظلها الشجرة، إنها قدرة الخلاق العليم، وقوله مائة سنة ليس للتحديد، ولكن للتكثير، وصفات الفرس توحي بقوته، فهو جَوَادٌ ويقال جاد الفرس إذا صار فائقًا، والمضْمَّر هو الذي جف عرقه وخف لحمه بعد الغذاء والسمنة والقوة، فيقوى على الجري، والسريع أي الذي لا يتمهل في جريه، فهو سابح في ظلال هذه الشجرة مائة سنة، والظل من معانيه الكنف والنعيم والراحة، ويعبر بالظل عن العز والنعمة والرفاهية والحراسة، وكل ذلك من سمات نعيم المؤمن في الجنة، والله يضاعف لمن يشاء، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ص ٤٠٠.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٨٩)

١٨٨٩- وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((إنَّ أهْلَ الجنَّةِ لَيتَراءوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِن فوْقِهِمْ كمَا تَراءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُق مِنَ المَشْرِقِ او المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ)) قالُوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لاَ يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قال: ((بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ)) متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يتراءون: يرون وينظرون [٢].

الكوكب الدري: النجم شديد الإضاءة[٣].

الغابر في الأفق: الغابر: الذاهب في أفق السماء[٤].

الشرح الأدبي

إن التصوير الأدبي في الحديث النبوي لا يجنح إلى الخيال، ولكن يعتمد على معايشة المشاهدات، وعلى أن تكون الصور مستمدة من الطبيعة المحيطة بالناس، ومن البيئة التي يتحرك فيها المخاطبون، وحين نتأمل جماليات الصورة الأدبية،وجماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجد أن الصورة في الحديث تنقل ما يتمتع به أهل الجنة، من فضل وبهاء وعزة وهم درجات وأصحاب الدرجات العلى يراهم الآخرون كما يرون الكوكب اللامع الدري، وهي صورة تمثيلية تقريبية، والملحوظ في تركيب الحديث ومرتكزه الفني اعتماده الطابع العملي في تذوق هذه الصورة الضوئية، فقد

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢٥٦، ومسلم ٢٨٣١/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٦٠.

(٢) النهاية في (ر أ ى).

(٣) فتح الباري ٣٧٧/٦.

(٤) انظر: فتح الباري ٣٧٧/٦.

جاءت عبارة كما تراءون أو كما تتراءون ويقصد بها التقريب الجمالي الذي تنبثق عنه غاية التفاعل مع التشبيه، فلا بد من إرشاد السامعين والمخاطبين إلى تجربتهم اليومية في النظر إلى الكوكب الذي صار في الحديث إيماءة إلى البهاء ونضارة الوجوه، وعلو المقام والسعادة في الجنة، إنه الإشراق النفسي مع النعيم، بل إن الصيغة الجمعية في "تتراءون" ترسخ حتمية هذه المقارنة التي لا يشذ عنها واحد من الناس كما دلّ التعبير بالجمع.

وعبارة "الكوكب الدري الغابر" تدل على الدائرة المتضمنة للتكامل والتماسك، والظاهر محاط بهالة نورانية تشير إلى لطف الباطن، والغابر: البعيد عن الإدراك المادي، والأعناق تشرئب إلى هذه المسافة التي تؤكدها كلمة (الأفق) وفي عبارة من المشرق، أو المغرب، أهمية الاتجاه فها هنا بؤرة ضوئية يشع منها النور في الاتجاهات كافة[1].

وتكتمل الصورة من خلال ذلك الحوار المشرق بالبشارات، حيث شعر بعض الصحابة بأن هذه المنزلة التي تجلت في هذه الصورة المتألقة للأنبياء فقالوا، وصدّروا قولهم بالنداء المحبب: يا رسول الله (تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم) وقولهم (تلك) إشارة إلى عظمة هذه المنازل وبعد منالها، ولم يقولوا هذه، فأقسم رسول الله ﷺ وقال بعد أن قال "بلى" وهي جواب التنفي في قولة لا يبلغها غيرهم، والمعني كما ورد في بعض الآراء كما حكاه ابن التين أنهم يبلغون درجات الأنبياء، فهم من أهل الغرف وهم رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين.

قال رسول الله ﷺ: "بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لمنازل أهل الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التفاضل في المنازل بين أهل الجنة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. احمد ياسوف.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٨٩- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٩٢).

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم السلام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لمنازل أهل الجنة:

جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" وفي ذلك بيان لما أعده الله لأهل الجنة من منازل ومساكن، وقد ذكر القرآن في غير آية منازل أهل الجنة وتعريف الله لهم إياها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[١] أي عرفهم بها وهداهم إليها، قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها ما لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا[٢]، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إذا خَلَصَ المؤمنونَ منَ النارِ حُبِسوا بقَنْطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنار، فيَتقاصُّونَ مَظالِمَ كانت بينهم في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنَّةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم بمسكَنِهِ في الجنَّةِ أدَلُّ بمنزِلِهِ كان في الدُّنيا))[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التفاضل في المنازل بين أهل الجنة:

جاء قوله ﷺ: "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء"، وفي قوله ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم". قال القرطبي: (قوله: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكبَ الدُّرِّي".

(١) سورة محمد، آية: ٤-٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢١٠/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٣٥.

يعني: أنَّ أهل السفل من الجنة ينظرون إلى من فوقهم على تفاوت منازلهم، كما ينظر مَنْ على الأرض دراري السماء على تفاوت منازلها. فيقال: هذا منزلُ فلان، كما يقال: هذا المشتري مثلاً، أو الزهرة، أو المريخ، وقد بيَّن ذلك بقوله: لتفاوت ما بينهما. وسُمِّي الكوكب دريًا لبياضه وصفائه، وقيل: لأنه شُبِّه بالدُرِّ في صفائه.

وقوله: "الغابر من الأفق، من المشرق أو المغرب" الرواية المشهورة: الغابر بواحدة، ومعناه الذاهب والباقي على اختلاف المفسرين، وغبر من الأضداد. يقال: غبر إذا ذهب، وغبر إذا بقي، ويعني به: أن الكوكبَ حالَة طلوعه وغروبه بعيدٌ عن الأبصار فيظهر صغيرًا لبعده، وقد بيَّنه بقوله: في الأفق من المشرق أو المغرب، والأُفُق: ناحية السماء، وهو بضم الهمزة والفاء وبسكونها، كما يقال: عُشْرٌ وعُشُر، وجمعه: آفاق، وقد قيَّدنا تلك اللفظة على من يوثق به: الغائر - بالهمز-: اسم فاعل من غار. وقد رُوي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء، ويُروى: العازب بالعين المهملة والزاي؛ أي: البعيد، ومعانيها كلها متقاربة. ومن الأفق: رويناه بـ"من" التي لابتداء الغاية، وهي الظرفية، وأما من المشرق، فلم يُرو في كتاب مسلم إلا بـ"من". وقد رواه البخاري في المشرق بـ"في" وهي أوضح، فأما مَن رواهما بـ"من" في الموضعين فأوجه ما فيهما أن تكون الأولى لابتداء الغاية، والثانية بدل منها مبيِّنة لها. وقيل: إنها في قوله من المشرق لانتهاء الغاية، وهو خروجٌ عن أصلها، وليس معروفًا عند أكثر النحويين.

وقولهم: "تلك منازلُ الأنبياء لا يبلُغها غيرهم؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين" كذا وقع هنا هذا الحرف. بلى؛ التي أصلها حرفُ جواب وتصديق، وليس هذا موضعها؛ لأنهم لم يستفهموا، وإنما أخبروا أن تلك المنازل للأنبياء لا لغيرهم. فجوابُ هذا يقتضي: أن تكون "بلى" التي للإضراب عن الأول وإيجاب المعنى للثاني، فكأنه تُسومح فيها، فوضعت بلى موضع بل. ورجالٌ مرفوع بالابتداء المحذوف، تقديره: هم رجال. وفيه أيضًا توسُّعٌ؛ أي: تلك المنازل منازل رجالٍ آمنوا بالله؛ أي: حقّ إيمانه، وصدَّقوا المرسلين؛ أي: حقّ تصديقهم، وإلا فكلٌّ من يدخل الجنة آمن بالله، وصدَّق رُسُله، ومع ذلك فهم متفاوتون في الدرجات، والمنازل، وهذا واضح[1].

---

(١) المفهم ١٧٥/٧-١٧٦.

قال ابن حجر: (والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم[١]، ووصف ارتفاع منازلهم بالكوكب الدري ووصف الكوكب بالدري لبياضه كالدر، وقيل لإضاءته، وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر[٢]، فكذلك أهل الجنة[٣]. وقد جاء في القرآن ذكر تلك الغرف العالية ولمن هي، فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ مَّبۡنِيَّةٌ﴾[٤] فأخبر الله تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأن ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأننا ننظر إليها عيانًا، و"مبنية" صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث في بيان النبي ﷺ في الحديث لمنازل أهل الجنة والتفاضل فيما بينها، وذلك أدعى ما يكون إلى الترغيب والمسارعة والتمسك بالأعمال الصالحات التي تؤول بصاحبها إلى سكنى الجنات، فقال النبي ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا أقام بما أوجبه جل وعلا عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من

---

(١) فتح الباري ٦/٣٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٣.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦١.

(٤) سورة الزمر، آية: ٢٠.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٩١.

كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[1]. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد في الحديث في قوله ﷺ "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله..." والقسم وسيلة قولية موجزة قصيرة، تلائم الطباع الذكية النبيهة التي تكفيها الإشارة[3]، والقسم وسيلة قديمة عرفها الناس قديمًا، واستعملوها تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية[4]. والقسم أيضًا وسيلة إقناع، لأنها تعمل على ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا[5]. وقد استخدم القرآن في كثير من آياته أسلوب القسم، ومنها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[6] وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[7].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم السلام:

جاء في الحديث: بيانُ أن الإيمان بالله والتصديق برسله سبب لنيل الغرف العالية والدرجات الرفيعة في الجنة "قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين. قال ابن حجر: أي

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية نياز، ص ١٣١، ١٣٢.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ص ٣٣٩.

(٥) مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة المعارف، ص ٢٩١.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٧) سورة يونس، آية: ٥٣.

صَدّقُوا حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك[١] والصدق بمعناه الضيق مطابقة منطوق اللسان للحقيقة، وبمعناه الأعم مطابقة الظاهر للباطن، فالصادق مع الله ومع الناس ظاهره كباطنه، ولذلك ذكر المنافق في الصورة المقابلة للصادق، قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢] والصدق التزام بالعهد كقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٣] والصدق نفسه بجميع معانيه يحتاج إلى إخلاص لله عز جل، وعملٍ بميثاق الله في عنق كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ﴾[٤]، [٥] لذلك وغيره استحق الصادقون الدرجات العلا وحقق الله لهم كل ما أرادوا[٦]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٧].

قال ابن كثير: (قال علي بن أُبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما "والذي جاء بالصدق" قال: من جاء بلا إله إلا الله "وصدق به" يعني رسول الله ﷺ. وعن مجاهد قال: "والذي جاء بالصدق وصدق به" قال: أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا بما أمرتمونا. وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فإن

(١) فتح الباري ٣٧٨/٦.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٤.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٧، ٨.
(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين، محمود محمد الخزندار، ص ٤٣٥.
(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢٤٧٧/٦.
(٧) سورة الزمر، آية: ٣٣-٣٥.

المؤمن يقول الحق ويعمل به والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين، وآمن بما أُنْزِل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)[1].

وقال د. محمد حجازي: (وأما الذي جاء بالصدق، والقول الحق، وهو رسول الله وخاتم أنبيائه وإمام رسله ﷺ والذين صدقوا به وآمنوا على أنه من عند الله، وفيه تبيان كل شيء والخير لكل كائن حي أولئك هم المتقون دون سواهم، لهم ما يشاءون ويطلبون عند ربهم، من كل نافع لهم ومفيد يوم القيامة، لا في الجنة فقط، ولكن لهم ما يشاءون يوم الحساب يوم الفزع الأكبر، وعند كل موقف عسير، ذلك الجزاء المذكور جزاء المحسنين.

وعدهم الله بذلك كله، ليكفر عنهم سيء ما عملوا إن كان لهم سيء، وليجزيهم أجرهم كاملاً بأحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها، وكل عمل لهم فهو أحسن لمزيد إخلاصهم وحسن تقبل الله له.

قد يقول قائل: ما معنى أن الله يكفر عن المتقين أسوأ ما عملوا؟ وهل لهم سيء وأسوأ والله يكفر الأسوأ فقط؟ والجواب: أن هؤلاء المتقين لشدة تقواهم إذا فَرَط منهم ذنب صغير فهو عندهم أسوأ الذي عملوا لاستعظامهم المعصية في جنب الله فكل ذنب صغير فهو في نظرهم كبير، بل أسوأ أعمالهم، فليس لهم سيء وأسوأ في الواقع، وكذلك الحَسَن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن، لحسن إخلاصهم ومزيد تقواهم فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ -في نظرهم كما سبق- وحسَنَهم بالأحسن كما علمت[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/٩٩.

(٢) التفسير الواضح، مج٣/٢٤/٤.

الحديث رقم (١٨٩٠)

١٨٩٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لَقابُ قَوْس: أي: قَدْرُه، وقَابَ القوس، قيل ما بين مقبض القوس وسيته، وقيل ما بين الوتر والقوس، وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذي يقاس به، وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع في الجنة[2].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث جملة واحدة، وهي جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، فالمبتدأ يتجلى في قول رسول الله ﷺ: (لقاب قوس في الجنة) أي أصغر مكان في الجنة حتى لو كان مقدار (قاب قوس) وهذا الجزء الصغير المحدود في ميزان الأفضلية خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب، وهذه الجملة من قوله: خير إلى نهاية الحديث هي الخبر ومتعلقاته، والحديث يتسم بالإيجاز ولكنه يتموج بدلالات عديدة وسديدة.

واللام في قوله: لقاب قوس تزيد الكلام تأكيدًا، وهي تشعر بالقسم، والتقدير والله لقاب قوس في الجنة، والقاب من مكونات القوس، ولكل قوس قابان، وهو

---

(١) برقم ٢٧٩٣ ولم يروه مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٧١ وعزاه إلى البخاري فقط.

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه ٢٠٩/٣ رقم ٢٤٥٧ في المتفق عليه، مع حديث أبي هريرة الذي تقدم بعد حديث رقم ١٩٨٦ وهو متفق عليه، فظنَّ المؤلف أن حديثه هذا أيضًا متفق عليه. ثمَّ الحديث عند البخاري في آخره زيادة: (وقال: لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) وهذا لفظ متفق عليه، ولعل هذا مما جعل المؤلف يعزوه إلى الصحيحين.

(٢) فتح الباري ١٧/٦.

ما بين المقبض والسية، وسِيَة القوس: بالكسر مخففة ما عطف من طرفيها، والجمع سِيَات.

واسمية الجملة تفصح عن ثبات دلالتها، وديمومتها، وهذه حقيقة واقعة لا مراء فيها فأقل جزء من مكونات الجنة ومشاهدها خير من الدنيا وما فيها، والتعبير بقوله مما تطلع عليه الشمس أو تغرب، كناية عن أن الجنة خير ما نشاهده في عالم الحس من الأجرام السماوية، والتضاريس الأرضية، وكل جرم أو كائن يصافحه ضوء الشمس أو يغرب عنه، والتعبير بالفعل المضارع في قوله (تطلع أو تغرب) يومئ إلى التَّكْرار والتجدد والاستمرار في كل وقت مهما تشكلت الطبيعة، ومهما عرف الناس من وسائل التقدم والاختراعات، فما أروع هذا الإيجاز في الحديث النبوي الذي يصل إلى حد الإعجاز البياني في صياغته ودلالته وشموليته والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان مكانة أماكن ومواضع الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: السعي إلى الجنة والزهد في الدنيا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والتشويق.

أولاً – من موضوعات الدعوة: بيان مكانة أماكن ومواضع الجنة:

جاءت الإشارة إلى ذلك في صريح قوله ﷺ: "لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب"، وتمام هذا الحديث: ((لَقَابُ قَوسٍ في الجنة خيرٌ مما تطلُعَ عليهِ الشمسُ وتغربُ. وقال: لغَدوةٌ أو رَوحة في سبيلِ اللهِ خير مما تطلُعُ عليهِ الشمسُ وتغربُ))[1].

قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: إن بيان أن أقل قدر في الجنة خير من الدنيا وما فيها يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس، لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٢.

المفاضلة بها، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة. والثاني أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله تعالى. والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدرَ سوط أو قدرَ قوس يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات، والنكتة في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا، فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا)[١]. قال ابن علان: (قوله: "لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب" أي: قدر ما بين المقبض والسية من القوس خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب شك من الراوي، ويحتمل أن يكون: "أو" فيه، بمعنى الواو، فيكون الجمع بينهما إطنابًا تأكيدًا لبيان فضل الجنة"[٢]، ومن يقرأ أوصاف الجنة وما اشتملت عليه من النفائس ليدرك معنى ذلك، ولا أدل على بيان أن أقل القليل في الجنة خير من الدنيا ما كتب لنعيم الجنة من دوام وللدنيا من فناء، فعن الجنان قال تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالى عن الدنيا: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٥]، وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[٦]، قال ابن رجب الحنبلي: "والمتاع هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى، فما عيبت الدنيا بأبلغ من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدلّ دليل على انقضائها وزوالها،

---

(١) انظر: فتح الباري ٦/١٨.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٩.

من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدلّ دليل على انقضائها وزوالها، فتتبدل صحتها بالسقم، ووجودها بالعدم وشبيبتها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت، فتفارق الأجسام النفوس، وعمارتها بالخراب، واجتماعها بفرقة الأحباب، وكل ما فوق التراب تراب"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: السعي إلى الجنة والزهد في الدنيا:

إن الإيمان باليوم الآخر، وما يشتمل عليه من ثواب وعقاب وغيرهما من الحقائق العظمى، يجعل العبد على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

إن الإنسان إذا استحضر عقابًا للذنب وثوابًا للعمل الصالح يتولد عنده خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء[٢]، بالجنة التي لا يدركها عقل ولا يحيط بها وصف، إن موضعًا بسيطًا في الجنة قدر موضع سوط أو قوس خير من الدنيا وما فيها، وفي ذلك بيان من النبي ﷺ لمدى قيمة الدنيا بالنسبة إلى الجنة، وأن أقل شيء في الجنة أفضل مما طلعت عليه الشمس من الدنيا، فقال ﷺ: (لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب)، فإن عيوب الدنيا بادية، وهي بعبرها ومواعظها منادية، لكن حبها يعمي ويصم، فلا يسمع محبها نداءها ولا يرى كشفها للغير وإيذاءها.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت ما يجمع[٣]

كم قد تبدل نعيمها بالضر والبؤس، كم أصبح من هو واثق يملكها وأمسى وهو منها قنوط يئوس[٤]، قال ابن القيم: (إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي:

---

(١) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٧٠.

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس بن السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٧٨/٦، ومعجم الأدباء، قافية العين ٣١٦/١.

(٤) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٧١.

المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير)[1].

ومما يعين على الزهد أمور منها: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾[2]، وسماها الله متاع الغرور ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضي بها واطمأن إليها"[3]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[4] قال ابن كثير: أي أن المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ولا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرّار كذاب أفاك، وهذه الآية كالآية في آخر سورة لقمان: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[5])[6]، فلا تغرنكم الحياة بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية فتلهيكم عما خلقتم له، ولا يغرنكم الشيطان وهو عدو لكم، ولتكن منكم عداوته ولا تهملوا محاربته كل وقت فإنه يراكم وأنتم لا ترونه وهو دائمًا لكم بالمرصاد[7].

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/١٣ - ١٤.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ١/٢٥٤.

(٤) سورة فاطر، آية: ٥.

(٥) سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ج٦/٥٣٤.

(٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٣١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والتشويق:

جاء الترغيب واضحًا في الحديث في بيان رسول الله ﷺ لعلو قدر الجنة وأنه لا يضاهيها شيء، وفي ذلك ترغيب ظاهر في التمسك بأسبابها والتماس ما تستحق به من أعمال، فقال ﷺ: (لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وهو أحد أسلوبي الموعظة الحسنة التي أمر الله به في الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وذلك أشد ما يكون ملائمة لنفس الإنسان، التي جبلت على حب الخير والسعي في الحصول عليه، وإذا تواصل الترغيب بين الوقت والآخر يكون أثره مستمرًا ودائمًا، ومن هنا يأتي دور الدعاة والعلماء في تذكير الناس من المسلمين بما أعده الله لهم إن هم أطاعوه، من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين[2]، وقد جاءت النصوص الكثيرة في القرآن والسنة ترغب في الطاعة بذكر ما أعده الله تعالى للمؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[3]، ومن السنة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللّهُ تعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر. فاقرؤوا إن شِئتم: ﴿فلا تَعلمُ نَفس ما أخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُن﴾))[4].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤٠ - ٤٤٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

الحديث رقم (١٨٩١)

١٨٩١- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الجَنَّةِ سُوقًا يَأتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إلَى أهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيقُولُ لَهُمْ أهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقد ازْدَدْتُم[1] حُسْنًا وَجَمَالاً! فَيقُولُونَ: وَأنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمالاً!)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فتحثو: تنهال[3].

الشرح الأدبي

إن نعيم الجنة يتفرد في خصوصيته، فهو أنقى وأصفى وأسمى وأبهى من أي متاع دنيوي، وفي سياق الإخبار عن هذا النعيم يقدم المصطفى ﷺ بعض الصور المستمدة من مصادر الزينة والجمال في الدنيا، حتى يدرك الناس بعض معالم هذا الجمال الأخروي.

ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في هذا الحديث البدء بالتأكيد في قوله: (إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة) وهذا التأكيد لطمأنة الصالحين، وللرد على الجاحدين المتشككين الذين لا يؤمنون بالغيب ولا بالبعث ويقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر.

وتنكير قوله: (سوقا) للتعميم وعدم التحديد، فالتعريف هنا ينأى عن البلاغة التي يتسم بها البيان النبوي، والضمير في قوله: (يأتونها) يعود إلى الصالحين والمتقين الذي أعد الله لهم الجنة، وعدل عن الإظهار إلى الإضمار للإيحاء بأن أهل الجنة الذين

---

(١) عند مسلم زيادة: (بَعْدَنا).

(٢) برقم ٢٨٣٣/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٤٣.

(٣) الوسيط في (ح ث و).

يتزاورون ويلتقون في سوقها، معروفون بإيمانهم وصلاحهم، ولن يدخلها سواهم، وقوله: "كل جمعة" معناه المراد: في مقدار كل جمعة، أي أسبوع وليس المقصود الأيام العادية الدنيوية وذلك لفقد الشمس والليل والنهار.

وتحديد الريح بأنها ريح الشمال، وارتباطها بالعطر والمسك في الجنة سببه أن ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وقيل: جاء في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة: أي المحركة لأنها تثير في وجوه أهل الجنة ما تثيره من مسك الجنة وغيره من نعيمها.

ومن سمات جماليات الأداء الأسلوبي: تَكْرَار بعض الجمل التي تضفي على أهل الجنة البهاء والجمال، ولنتأمل تكرار هذه الجملة التي تتفق في معظم حروفها وكلماتها، ودلالتها واحدة، وهي تبرز أثر الريح المسكية التي تحثو في وجوه أهل الجنة وثيابهم المسك وقيل: حُذف المفعول به "لتحثو" للتعميم ولتذهب النفس في تعين ما يحثى به كل مذهب - كما يقول صاحب دليل الفالحين - ولنعد إلى تأمل تَكْرَار هذه الجمل وما يحدثه التَكْرَار من وقع جميل وأثر نبيل في كل نفس مسلمة (فيزدادون حسنًا وجمالاً) (وقد زدادوا حسنًا وجمالاً)، (والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً وأنتم والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً)، وعلى الرغم من هذا التَكْرار المتوالي لهذه الجمل في هذا الحوار العذب الجميل، فإننا لم نشعر بالرتابة أو الإسهاب اللفظي، ولكن الكلام له وقع مؤثر، وجمال يأسر، والحركة في الحديث تَتَوالى، وأهل الجنة يزدادون حسنًا. في ظل تلاحق الأحداث، وسرعة الحركة. وذلك من خلال العطف بالفاء في أغلب جمل الحديث على هذا النسق (يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم فيزدادون حسنًا فيرجعون إلى أهليهم فيقول لهم أهلوهم.. فيقولون) إن هذا التلاحق السريع في استكمال مشاهد النعيم أفصحت عنه الفاء التي شحنت الأفعال والأحداث بطاقة الحركة والتفاخر بالجمال والحسن والبهاء... والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اجتماع أهل الجنة كل جمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: زيادة حسن وجمال أهل الجنة بعد لقائهم يوم الجمعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اجتماع أهل الجنة كل جمعة:

من ألوان تنعيم الله لأهل الجنة ما يجدونه من حسن ونعيم بمرور الدهور والأزمان وما يقام لهم في الجنة من اجتماعات وأسواق ونحوها إيناسًا لهم[1]، بخلاف نعيم الدنيا والذي في الغالب ما يتطرق إليه المَلَلُ والسأمُ من الاعتياد، وإلى ذلك جاءت الإشارة في الحديث في قوله ﷺ "إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة". قال القاضي عياض: (وقوله: "إن في الجنة لسوقًا" الحديث، يريد: مجتمعًا لأهل الجنة، كما تجتمع إلى السوق في الدنيا، وهذا يوم المزار وهو يوم الجمعة، ويوم المزيد، كما قال في الحديث. وسمي السوق سوقًا؛ لسَوْق من يأتيها من الناس ببضائعهم إليها. والسوق يذكر ويؤنث)[2].

وقال القرطبي: (وسمي السوق سوقًا لقيام الناس فيها على ساق، وقيل: لسوق الناس بضائعهم إليها، فيحتمل أن يكون سوقُ الجنة عبارة عن مجتمع أهل الجنة، ومحل تزاورهم، وسُمِّي سوقًا بالمعنى الأول، ويؤيد هذا أن أهل الجنة لا يفقدون شيئًا يحتاجون إلى شرائه من السوق، ويحتمل أن يكون سوقًا مشتملاً على محاسن ومشتهيات ومستلذات، تجمع هنالك مرتَّبة محسَّنة، كما تُجمع في الأسواق، حتى إذا جاء أهل الجنة فرأوها، فمن اشتهى شيئًا وصل إليه من غير مبايعة ولا معاوضة، ونعيم الجنة وخيرها أعظم وأوسع من ذلك كله، وخص يوم الجمعة بذلك لفضيلته، ولِمَا خصه الله تعالى به من الأمور التي تقدَّم ذكرُها؛ ولأنه يوم المزيد. أي: اليوم الذي يوفَّى لهم ما وُعدوا به من الزيادة. وأيام الجنة تقديرية؛ إذ لا ليل هناك ولا نهار، وإنما هناك أنوار

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٨٤٨.

(٢) إكمال المعلم ٨/٣٦٤.

متوالية لا ظلمة معها، على ما يأتي إن شاء الله تعالى[١].

قال النووي: (والمراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار[٢]. وجاء في مسند الإمام أحمد بيان ما يجلسون عليه في هذه السوق، فعن أنس ((أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ لأَهْلِ الْجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فِيهَا كُثْبَانُ الْمِسْكِ))[٣] أي تلال المسك، يجلسون عليها[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: زيادة حسن وجمال أهل الجنة بعد لقائهم يوم الجمعة:

إن جمال أهل الجنة لا مثيل له ولا نظير وهو دائمًا في تجدد وازدياد وذلك ما أخبرنا به النبي ﷺ في الحديث "فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً". قال القاضي عياض: ("فتهب ريح الشمال": بفتح الشين والميم، قال صاحب العين: الشمال والشمأل ساكنة الميم -مهموز- والشأمل بتقديم الهمزة، والشمل بفتح الميم بغير ألف، والشُمُول بفتح الشين وضم الميم: الريح، وهي التي تأتي من دبر القبلة. وخص ريح الجنة بالشمال -والله أعلم- بأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانت ترجى السحاب الشامية؛ ولذلك أيضًا سمى هذه الريح في الحديث الآخر: "المثيرة"، كما قال: "فتحثوا في وجوههم" يعني ما يثيره من مسك أرض الجنة وغير ذلك من نعيمها وهو مقابلة الجنوب[٥]. وقال القرطبي: (وقوله: "فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم" ريحُ الشمال في الدنيا: هي التي تأتي بلاد العرب بالأمطار، فهي عندهم أحسنُ الأرياح، فلذلك سمِّي ريح الجنة بالشمال، وقد سُمِّيت هذه الريحُ في حديث بالمثيرة؛ لأنها تثير النعيم والطيب على أهل الجنة[٦].

قال النووي: (قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب،

---

(١) المفهم ١٧٨/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ٢٨٥/٣ رقم ١٤٠٣٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٤٣٠/٢١.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١٩٦٢/٢.

(٥) إكمال المعلم ٣٦٤/٨.

(٦) المفهم ١٧٨/٧.

كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية[١]، فيزدادون حسنًا وجمالاً لما تثيره هذه الريح في وجوه أهل الجنة من مسك الجنة وغيره من نعيمها[٢].

وكل ذلك وغيره من المذكور في الجنة ونعيمها يوجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار، وأحسن ما فيها وأنعم ما فيها ينظرون إلى الله عز وجل نظرًا حقيقيًا، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤] والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث، فيما حكاه النبي ﷺ عما يكون بين أهل الجنة وأهليهم من سؤال وجواب "فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً، فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً" وفي ذلك إخبار لما يدور بين أهل الجنة وأهليهم من حوار يحمل معنى السؤال عن سبب زيادتهم في الحسن والجمال[٦]، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من قيمة تأثيرية عظيمة في نفوس المدعوين، فهي تجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٤.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٢.

(٣) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٩١٦/٢.

(٦) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغامسي، ص ٨١، ٨٢.

(٧) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢، ٥٩.

الحديث رقم (١٨٩٢)

١٨٩٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءونَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ)) متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

ليتراءون: أي: أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث جزء من حديث سبق شرحه في هذا الباب، ولكن هذا الحديث يتسم ويتفرد بأن الترائي للغرف نفسها، وليس لأهل الغرف كما في الحديث السابق، قال تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[٤].

وقال العلماء: إن الغرفة هي الجنة سميت بذلك لارتفاعها، وقال بعضهم: إنها الدرجة العليا في الجنة، وهي اسم جنس أريد به الجمع، الغرفة أعلى منازل الجنة، وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، وهذه الدلالات التي قدمها العلماء

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٥٥، ومسلم ٢٨٣٠/١٠ ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري ٣٧٧/٦.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٢٠

للغرفة تعد دعوة لترغيب المسلم فيما أعد الله له من جنة لا يسع الإنسان بوضعه البشري وإمكاناته المحدودة أن يتعرف إلى حقيقتها كما هي في علم الله، وقد تكون تلك الصفات التي جاءت في سياق وصف الغرف في القرآن والحديث، منازل أو درجات في الجنة، والناس - كما هو معروف - درجات عند الله عز وجل[1].

والحديث يصوغه الرسول ﷺ في الحديث عن الغرف... وكيفية إدراك أهل الجنة لها في قالب الجملة الاسمية، ويبدأ الحديث بالتوكيد، ويعقد موازنة بين رؤية أهل الجنة للغرف، ورؤية أهل الدنيا للكوكب في السماء.

وفي هذه المشابهة إعلان عن حجم هذه الغرف، وشدة وهجها ودوام تألقها... فهي كما قال رسول الله ﷺ خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، وطولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨٨٩).

الحديث رقم (١٨٩٣)

١٨٩٣- وعنه رضي الله عنه، قال: شَهِدْتُ مِنَ النبيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: ((فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٦ - ١٧]. رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

لقد سبق شرح هذا الحديث برواية أبي هريرة رضي الله عنه، ولكن هذه الرواية تختلف مقدمتها عن الرواية السابقة، حيث يروي سهل بن سعد رضي الله عنه أنه شهد من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: (فيها ما لا عين رأت... إلخ الحديث).

وهذه المقدمة تفصح عن أن رسول الله ﷺ أطنب في وصف الجنة، وقوله: (حتى انتهى) تشير إلى هذا الإطناب لأن (حتى) غائية... وقوله (انتهى) يدل على أن الوصف له بدايات ومقدمات ثم موضوع فصل فيه الرسول ﷺ القول في وصف الجنة، وقوله (شهدت من رسول الله) فيه إيماء إلى التأدب مع رسول الله ﷺ حيث لم يقل شهدت مع رسول الله مجلسًا... خوفًا من الإيهام بالمشاركة في المجلس: حديثًا وتعليمًا وعدل عن قوله مع إلى قوله (من) للإيحاء بأنه يتلقى من رسول الله التعاليم، ويسمع للوصف مثله مثل كل الصحابة الأخيار الأبرار الأطهار، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٢٥/٥ ولم يروه البخاري. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٨ وعزاه إلى مسلم فقط. وأما الحديث المتفق عليه، فهو عن أبي هريرة، أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤/٢. وأورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٧.

وقوله: (ثم قال في آخر حديثه) يدل على الأناة والتمهل، أي: قال هذه الأوصاف التي يعز تحقيقها ووجودها في أي مظهر بشري دنيوي.. بعد أن أفاض كثيرًا في وصف الجنة.

والحديث يجمع بين النص النبوي، والنص القرآني، والاستشهاد بالقرآن تأكيد لصدق الأوصاف، وترغيب في الإقبال على العمل الصالح للفوز بهذا الجزاء الأوفى، والنعيم الخالد... والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على شهود مجالس النبي ﷺ والإفادة منه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم الجنة.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على شهود مجالس النبي ﷺ والإفادة منه:

أشير إلى ذلك في الحديث؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "شهدت مع رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى" فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أحرص ما يكونون على مجالسته ﷺ والاستماع إليه، وسؤاله عن كل ما لا يعرفونه أو يشكل عليهم في كل ما يعن لهم من شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا[1]، ولقد كان لذلك أكبر الأثر في حفظ السنة ونقلها إلى من بعدهم، فلقد تلقوا السنة وشاركوا في تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة العلمية مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال، كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم[2]، وفي الحديث دلالة على

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، ص ٦٧.

الحرص على حضور مجالس رسول الله ﷺ، حرصًا شديدًا، ومن كان منهم يفوته مجلس أو يعسر عليه الحضور الدائم، كان يتناوب الحضور مع غيره كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه، قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يومًا وأَنزِلُ يومًا، فإذا نَزَلتُ جئتُه بِخَبَرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثْلَ ذلِكَ))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين به على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته[2] لما عُلم من حال عمر أنه كان يعمل بالتجارة، ومع ذلك كان يتناوب مع أخيه الأنصاري حضور مجالس رسول الله ﷺ ويسأله عما يفوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم الجنة:

جاء في الحديث وصف الجنة، وبيانه ﷺ لاحتوائها على ما لم يخطر على قلب بشر، ثم قال في آخر حديثه: "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" ثم قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4] وجاء هذا في معنى الحديث القدسي "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا، بله ما أطلعكم الله عليه" والمعنى: دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم[5]. ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[6]، قال القرطبي: (قال ابن عباس رضي الله عنهما الأمر في هذا أجل وأعظم من أن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩.

(٢) فتح الباري ٢٢٤/١.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٢.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٧.

يُعرف تفسيره، وقال الحسن: أخفى القوم أعمالاً فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت)[١].

لقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر المؤمنين بما في الجنة من نعيم ومسارّ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢] وفي ذلك إخبار بما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة من أشجار مثمرة، وأنهار تجري في الجنة بين أشجارها وقصورها، كلما رزقهم الله في هذه الجنات رزقًا من ثمارها قالوا هذا يشبه ما رزقنا من قبل في الدنيا، لأن هذه الثمرات التي ينالونها تتشابه مع ثمار الدنيا في الصورة والجنس ولكنها تختلف في الطعم واللذة، ولهم فيها زوجات كاملات الطهارة ليس فيهم ما يُعاب وأهل الجنة سَيَحْيَوْن في هذه الجنات حياة أبدية خالدة[٣] ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٤].

ثالثًا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

جاء ذكر القرآن الكريم في الحديث بالاستدلال منه ما يعضد الحديث، فقال ﷺ "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" ثم قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥] فالقرآن هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله ﷺ امتثالاً لأمر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن مج٧/١٤/١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ١٢٩.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٥) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

ربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] والقرآن الكريم كتاب هداية يهتدي به من قرأه أو حفظه وتدبر معانيه واتعظ بما فيه، فتلزمه الحجة، ولذا كان تدبره واجبًا، حتى يفتح مغاليق القلوب، وتستنير به الأفئدة ويقود الناس إلى الوقوف عند حدوده، والعمل بما فيه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2][3] (والقرآن كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، يحقق انسجامًا بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين الحقوق والواجبات، وهو كتاب عملي يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، كما صلح للتطبيق في عصره ﷺ، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل، ودستور خاتم الأديان، ولو لم يكن عمليًا لأنزل الله بعده كتبًا أخرى، كما أنزل الإنجيل بعد التوراة وأنزل القرآن بعدهما، فسبحان من لا تنفد كلماته[4]، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[5].

إن القرآن هو مصدر التشريع والثقافة الأول عند المسلمين. لا ينكر إنسان أن القرآن هو مصدر ثقافة المسلمين الأول، وقد بهر القرآن بآياته عقول متبعيه وجاحديه منذ نزوله، وبخاصة أن حروفه من حروف العربية، لم يزد عليها حرفًا ولم يترك منها آخر، ومفردات كلماته هي من مفردات كلام العرب، ومع علم العرب بالمحسنات البديعية وثنائهم على بعض الأعمال الأدبية، واختيارهم بعضها لتكون تاجًا للأعمال الإنسانية، يوضع في جوف الكعبة كالمعلقات السبع ... إلخ.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة ص، آية: ٢٩.

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٥) سورة الكهف، آية: ١٠٩.

إلا أن العرب قد سمعوا كلامًا عربيًا، خالف سائر النظم العربي، حتى قال قائلهم -وهو كافر بالدين الإسلامي- والله لقد سمعت من محمد كلامًا، ما هو بكلام الإنس ولا بكلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه...، وما قصة إيمان عمر بخافية عن أحد، وقد أثر فيه سماعه القرآن من صهره في بعض الروايات، ومن رسول الله ﷺ في روايات أخرى، وهو مختبئ في جوف الكعبة.

إن القرآن بحر زاخر بالعلوم والمعارف، وإن استنباط هذه العلوم مرتبط ببذل الجهد واستفراغ الوسع، حتى يمكن تحصيل الكثير من لآلئه، وكما أن عطاء البحار والمحيطات لا ينضب بل يزداد بازدياد الكشوف العلمية، كذلك عطاء القرآن، لا يتوقف عند حد، ولن يتوقف إذا عجز العقل الإنساني عن التفكير.

لقد أدهش نصه الشرق والغرب، وعجب كثيرون من غير المسلمين من محتواه، واستنبطوا منه الكثير من المعاني، ولهم أقوال مشهورة في الثناء عليه، كقول أحدهم: إن الله جمع الطب كله للمسلمين في نصف آية "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" وذهول أحدهم عندما تلى الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]. فقال ما أنبأ محمد بهذا غير الله، ... إلخ.

إن أثر القرآن في الثقافة الإسلامية واضح، وله أثره في الثقافة العالمية، فلقد أسست مدارس وأنشأت معاهد، وعقدت مؤتمرات وقدمت أبحاث في بلاد الغرب، كلها تهدف إلى دراسة القرآن خاصة والإسلام عامة، وكانت نتيجة البحوث كما نعلم: المادح، القادح، المضطرب، الذي لا يعرف الاستقرار في الرأي... إلخ وهكذا ضوء الشمس بالنسبة للناظرين)[2].

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ص ٤٢، ص ٦٨، ٦٩.

الحديث رقم (١٨٩٤)

١٨٩٤- وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((إذَا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ) [1] يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا، فَلاَ تَمُوتُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا ابدًا، وإنَّ لكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا ابدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا، فَلاَ تَبْأسُوا أبَدًا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تسقموا: فلا تمرضوا[3].

تهرموا: فلا تكبروا[4].

تبأسوا: لا تحزنوا[5].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتضمن مقدمة وأربع بشارات، يبشر الله بها أهل الجنة في أول قدومهم ودخولهم دار القرار والرضوان، وكل بشارة تمثل صفة من صفات أهل الجنة، وتعد قاعدة من قواعد النعيم الذي يتنعم به الصالحون الذين غمرهم الرضوان الإلهي، فهم في هذا النعيم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف. وهذه الزيادة عن هناد في الزهد ١٧٥.

(٢) برقم ٢٨٣٧/٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٧٦.

(٣) النهاية في (س ق م).

(٤) النهاية (في (هـ ر م).

(٥) النهاية في (ب أ س).

والمقدمة صيغت في قالب: الجواب والشرط، وهذه الصياغة تتسق مع جو الحديث وطبق معانيه، لأن الله أعد لهم الجنة جزاء وفاقًا لما قدموه من صالح الأعمال، وأداة الشرط (إذا) مناسبة لسياق الدلالة وآفاق المعنى لانها تفيد التحقق. فدخول الجنة حقيقة ثابتة وقد وُعد بها المتقون من لدن عزيز حكيم؛ ومن مظاهر الجمال الأسلوبي تكرار التأكيد بإن وضمير المخاطب المقترن باللام في قوله: (إن لكم) أربع مرات في بداية كل بشرى من هذه البشريات المضيئات بنعيم الله ورضوانه، وهذا التكرار يؤكد أحقية هؤلاء الصالحين في الفوز بهذا النعيم فهم يحيون ولا يموتون، ويصحون ولا يسقمون، ويشبون ولا يهرمون، وينعمون ولا ييأسون، واللام تدل على الملكية وتوحي بأن هذا النعيم أصبح ملكًا لهم.

والطباق بين الأفعال في كل جملة من هذه الجمل المبشرة يدفع إلى التأمل والموازنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وبين نعيم أهل الجنان، وعذاب أهل النيران، والتضاد بين دلالة الأفعال يقترن به التضاد بين حالات الإثبات وحالات النفي، فالصفات التي تعد من مظاهر النعيم ثابتة، أما الصفات التي تعد من مظاهر النقص والمثالب الدنيوية فهي تجيء في إطار النفي، ونفيها إثبات ضدها، ولنتأمل هذا التنسيق الجميل في صياغة العبارات، وهذا التوازي العجيب في التراكيب والأساليب، وكأن هذا التوازن في بناء العبارات صورة لتوازن نفسية المسلم الذي فاز بالدرجات العلى في جنة عرضها السماوات والأرض، فما أبلغ هذه الأساليب أن تحيوا ولا تموتوا، وأن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبو فلا تهرموا أبدًا، وأن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا.

وتكرار قوله: (أبدًا) أربع مرات تقييد لما سبق ذكره من حالات الموت والسقم والهرم والبؤس وقد ورد العطف في الجملة الأولى بحرف الواو، وفي الجمل الثلاث الأخيرة بحرف الفاء، وقيل في تعليل ذلك: بتسبب ما بعد العاطف عما قبله في الجمل الثلاث الأخيرة لا في الأولى، جعلنا الله من أهل الجنة.. وهل بعد هذا النعيم نعيم؟ حياة بلا موت، وصحة بلا سقم، وشباب بلا هرم، وتنعم بلا بؤس!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ۝٣٦﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحياة الأبدية وعدم الموت في الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من نعيم الجنة الصحة والشباب والنعيم المقيم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ أن أدنى مقعد في الجنة أن يقال لصاحبه تمنَّ فيتمنى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحياة الأبدية وعدم الموت في الجنة:

إن من ألوان نعيم أهل الجنة اطمئنانهم إلى دوام نعيمها وعدم خوفهم من زواله عنهم أو زوالهم عنه، وذلك من أول البشائر التي يتلقاها أهل الجنة عند دخولهم إياها وإكرام الله لهم بها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾[3]. وقد جاء في الحديث ما يوافق ذلك، فقال ﷺ: "إذا أدخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ: إن لكم أن تحيوا ولا تموتوا أبدًا" فهم في نعيم دائم، وحياة أبدية، لا يخافون الموت ولا السقم ولا انقطاع ما هم فيه من النعيم[4].

وقد جاءت النصوص الكثيرة بانقضاء الموت وأبدية الحياة في الآخرة، سواء في الجنة أو في النار، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) سورة النبأ، الآيات: ٣١ - ٣٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٩٤- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٩٥).

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٣، ٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٢/١٩١٥.

كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَـٰذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَـٰذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الدُّنْيَا))[2]. إضافة إلى ذلك فإن كثيرًا من أسماء الجنة تحمل معنى الخلود والديمومة، ومن ذلك "دار المقامة" قال تعالى حكاية عن أهل الجنة ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[3]، قال مقاتل: أنزلوا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا، ومنها "جنات عدن" قال تعالى: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[4] أي جنات إقامة[5] ومنها "دار الحيوان قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[6] أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها.

وعن أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد وأنه لا مكان للموت فيها يقول ابن القيم: (هذا مما يعلم بالاضطرار، أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[7]. أي: غير

(١) سورة مريم، آية: ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٤٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٤، ٣٥.

(٤) سورة مريم، آية: ٦١.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٣٤.

(٦) سورة العنكبوت،آية: ٦٤.

(٧) سورة هود، آية: ١٠٨.

مقطوع. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء. فقال معمر عن الضحاك: هم في الذين يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مدة مكثهم في النار.

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين، وهم هؤلاء.

والثاني: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء، وما دلّ عليه. وأحسنُ من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع، حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف. وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص. وقالت فرقة أخرى: هو استثناء استثناهُ الرب تعالى ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه.

وقالت فرقة أخرى: العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى إلا في ذلك، ومعنى الواو سواء، والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض. هذا قول الفراء، وسيبويه: يجعل "إلا" بمعنى لكن. قالوا: ونظير ذلك أن تقول: لي عليك ألف إلا الألفين اللذين قبلها: أي سوى الألفين. قال ابن جرير: وهذا أحبُّ الوجهين إليّ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1].

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت: أي سوى ما شئت، أي: لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة، ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد، فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ. وقالت فرقة أخرى: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود

---

(١) سورة هود، آية: ١٠٨.

الدائم، إلا أن يشاء الله خلاف ذلك، إعلامًا لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته، وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾[3]، ونظائره يخبر عباده سبحانه، أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقالت فرقة أخرى: المراد بمدة دوام السماوات والأرض في هذا العالم، فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه. ولعل هذا قول من قال: إن "إلا" بمعنى "سوى"، ولكن اختلفت عبارته، وهذا اختيار ابن قتيبة. قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم. وقالت فرقة أخرى: "ما" بمعنى، "من"، كقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[4]. والمعنى: إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء. والفرق بين هذا القول، وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على ذلك القول من المدة، وعلى هذا القول من الأعيان.

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسماوات والأرض: سماء الجنة وأرضها، وهما باقيتان أبدًا وقوله: "إلا ما شاء ربك" إن كانت "ما" بمعنى "من" فهم الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها، وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ الموقف، قال الجعفي: سألت عبدالله بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يُقضى بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا، وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتًا

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٦.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، آية: ١٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٣.

يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها: "عطاء غير مجذوذ" محكم، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[1]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3].

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[4] وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله: "إلا ما شاء ربك" تبين لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمة على حياتهم الأبدية. وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها.

وقد قال النبي ﷺ: ((من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس، ويخلد لا يموت))[5]، وقوله: ((ينادي منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا))[6].

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: ((يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقفُ بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون مشفقين، ويقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين، فيقال: هل تعرفون هذا؛ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبحُ بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت))[7]،[8].

---

(١) سورة ص، آية: ٥٤.
(٢) سورة الرعد، آية: ٣٥.
(٣) سورة الحجر، آية: ٤٨.
(٤) سورة الدخان، آية: ٥٦.
(٥) أخرجه مسلم ٢٨٣٦.
(٦) أخرجه مسلم ٢٨٣٧.
(٧) أخرجه البخاري ٤٧٣٠، ومسلم ٢٨٤٩.
(٨) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٤٢٦-٤٢٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من نعيم الجنة الصحة والشباب والنعيم المقيم:

وقد صرح بذلك النبي ﷺ في الحديث، فقال: "وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا[1]، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا" وذلك إشارة إلى بقاء الجنة، وبقاء جميع ما فيها من النعيم، وأن صفات أهلها الكاملة من الشباب لا تتغير أبدًا، وملابسهم التي عليهم من الثياب لا تبلى أبدًا[2]، وقد دل القرآن على مثل هذا في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[4]، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ وَلاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُ))[5]،[6] وفي رواية "إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا" أي لا يصيبكم بأس، وهو شدة -الحال- وأن تنعموا بأن يدوم لكم النعيم[7]. وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ وَلاَ تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ))[8]. وبذلك فإن الله قد أذهب عن أهل الجنة كل نصَب، وأزاح عنهم كل خوف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[9] وقال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[10] أي أزاح عنا الحزن، وهو الخوف من المحذور، أزاحه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٤٦/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج٣٦٢/١٣/٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٣٦.

(٦) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٦٧، ٦٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٦.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٥٣٩، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٩١).

(٩) سورة الحجر، آية: ٤٥-٤٨.

(١٠) سورة فاطر، آية: ٣٤.

عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه ونَحْذره من هموم الدنيا والآخرة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء[2]. فإن الجنة لا تعب فيها في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام ما يكونون بهذه الصفة بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب ولا هم ولا حزن ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة لأن النوم فائدته زوال التعب وحصول الراحة به وأهل الجنة بخلاف ذلك ولأنه موت أصغر وأهل الجنة لا يموتون جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ "إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، والغرض منه تقوية الكلام، وإثبات صحته[4] وقد استعمل القرآن أسلوب التوكيد في مواطن جمة منها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾[5] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾[6] وأسلوب التوكيد يقف بالمدعوين على الحق ومواطنه مؤكدًا ذلك بما لا يدع مجالاً للشك وذلك مما يجعل الدعوة تنفذ إلى قلوب المدعوين وحملهم على الاقتناع بها والامتثال لما جاء فيها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ ان ادنى مقعد في الجنة أن يقال لصاحبه تمنَّ فيتمنى:

في بيان ذلك يقول ﷺ "إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تمن فيتمنى

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٥٢/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٣٦.

(٤) الأصل النحوي، توالي الأمثال اللفظية والمعنوية، د. منيرة بنت محمود الحمد، ص ٢٧٣، بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية والعربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، شوال ١٤٢٧هـ.

(٥) سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٩.

ويتمنى، فيقول له هل تمنيت، فيقول: نعم فيقول له فإن لك ما تمنيت ومثله معه" قال الطيبي: (والمعنى أن أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لا تبقى له أمنية، ونحو قول الشاعر:

لم يُبْق جُودك لي شيئًا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل[1]

قال ابن علان: (في قوله "فيتمنى ويتمنى" الإتيان بالثاني لبيان تعدد تمنيه وكثرة متمناه، فليس القصد منه الثانية فقط، بل التَّكْرار والتكثير[2] وإذا كان هذا حال أدنى أهل الجنة، فما بالنا بحال من فوقه، فحق لعين ترجو الجنة ألا تنام)[3]، (فيا أيها المريد إنه ينبغي أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها، واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا، والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها)[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢٤٥/١٠، ٢٤٦، والبيت في نفح الطيب ٤١١/٣، قافية اللام، وشذرات الذهب ١٧٦/٣.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٤/٢.

(٤) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ١٨١.

الحديث رقم (١٨٩٥)

١٨٩٥- وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **((إنَّ أدنَى مَقْعَدِ أحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فيقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أهل الجنة من المصطفين الأخيار، ومن الكرام الأبرار، وهذا الحديث يقدم صورة من صور إكرام الله لهم، ويخص طائفة من أهل الجنة يحسب الناس أنهم لا يحظون بمزيد من فضل الله وإحسانه وتكريمه، وهم الذين حددهم من خلال هذا النموذج وهو صاحب أدنى مقعد أو أدنى أهل الجنة منزلة، والحديث يموج بعدة ظواهر أسلوبية وفنية تبرهن على تفوق البلاغة النبوية، والبيان المحمدي، ومن هذه الظواهر:

١ - تكرار التوكيد ثلاث مرات في الحديث حيث أكد أبو هريرة ﷺ روايته، وصدقها فبدأ الحديث بقول مسلم في رواية عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال، والتأكيد الثاني بإن يأتي في مقام تأكيد الرسول ﷺ لمكانة صاحب أدنى مقعد من الجنة فقال: (إن أدنى مقعد أحدكم) والتأكيد الثالث يجيء في سياق إكرام الله لهذا الأدنى منزلة، فما بالنا بالأعلى منزلة، يقول الله تعالى: إن لك ما تمنيت ومثله معه.

٢ - تكرار مادة التمني خمس مرات في الحديث للإيحاء بتحقيق أمنيات هذا الفريق من أهل الجنة وتكرار الفعل فيتمنى ويتمنى للدلالة على التكثير، ولبيان تعدد تمنيه وكثرة متمناه، فليس القصد منه الثانية فقط، بل التكرار والتكثير.

---

(١) برقم ١٨٢/٣٠١.

٣ - بلاغة الحذف حيث تضمن الحديث حوارًا بين الله عز وجل وبين هذا النموذج من أصحاب الجنة، وفي الحوار حذف يعد من دلائل بلاغة الكلام، ومن براهين حُسن الإفهام، فالفاعل محذوف في قوله أن يقول له: تمن، والفاعل تقديره: الله، أو ملك، يأمره الله عز وجل بمحاورة الرجل، والحذف تكرر في المقطع الثاني والثالث من هذه المحاورة، مع تكرار الفعل نفسه ومتعلقة وهو الجار والمجرور، فيقول له: فيقول له.

٤ - بلاغة الاستفهام في قوله هل تمنيت؟ وهو قد يكون حقيقيًا: أي هل استوفيت ما تتمناه، وقد يكون تقريريًا يقرره بالاستيفاء وهو معلوم، وحذف الفاعل من الجمل الثلاث، للإيحاء بالتأدب مع الله، حتى لا يكون لفظ الجلالة في مواجهة مع هذا النموذج الأدنى منزلة، وإنما الله يعم بكرمه كل أوليائه الصالحين، ويضاعف الله الثواب، ويحقق الرجاء، ويجيب الدعاء: ويقول: فإن لك ما تمنيت ومثله معه.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٩٦)

١٨٩٦- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله ﷻ يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيقُولُ: ألاَ أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُونَ: وَأيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبدًا)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لبيك: تعني: الإجابة والإقامة على الطاعة[2].

سعديك: إسعادًا بعد إسعاد[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبسات من نور النبوة وإشعاعات من الرحمة الإلهية، وهو محاورة بين العلي الكبير المتعال وأهل الجنة يقدمها رسول الله ﷺ مبشرًا أولياء الله الصالحين بما يمن الله به عليهم من رضوان عميم، في جنات النعيم، وحين تتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، وهذه المحاورة البليغة نجد أن رسول الله ﷺ يبدأ الحديث بمقدمة محصنة بالتوكيد حيث يقول إن الله عز وجل "يقول لأهل الجنة" ومجيء قوله "عز وجل" بعد لفظ الجلالة مناسب للمقام، ومن سمات بلاغة الكلام في هذا السياق فمدلول (عز) أي غلب على مراده فلا معقب له فيه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقول (جل) أي تنزه عما لا يصح قيامه به، وقوله (يقول) يرشد إلى أن

(١) أخرجه البخاري ٦٥٤٩، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٩/٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٦.

(٢) القاموس المحيط في (ل ب ى).

(٣) القاموس المحيط في (س ع د)

هذا الحوار في الحال والاستقبال وهو كائن في علم الله مقدر، والنداء من الله لأهل الجنة فيه تشريف وتكريم لهم، وقولهم في إجابة النداء (لبيك وسعديك والخير في يديك) يتضمن عدة ملامح جمالية ومنها: (التثنية) في لبيك وسعديك للتكثير والتعدد، وليس المراد بها معنى المُثنّى فقط، لأن "لبيك" مثنى: أي إجابة بعد إجابة، وكذلك سعديك أي مساعدة بعد مساعدة، فهم يطلبون العون الدائم والمساعدة الدائمة من ربهم، والسجع الإيقاعي بين الكلمات (لبيك وسعديك، ويديك) فيه ترغيب وتأثير وحسن إيقاع في السماع، وهم يعلنون من خلال هذه الصيغة الإيقاعية عن سرورهم، وفرحهم بمخاطبة ربهم) والتعبير بقولهم والخير في يديك، ولم يقولوا والخير والشر في يديك، مع أن الكل بيده: فيه تنبيه على الأدب في خطابه تعالى إذ لا يضاف إليه إلا الجميل، وقولهم لبيك ربنا التعبير بالرب في هذا المقام دون لفظ الجلالة - كما يقول صاحب دليل الفالحين لما تضمنه معناه من التربية والإيصال إلى أَوج الكمال، وذلك مدلوله فأوثر لمناسبته لكمالهم الذي وصلوا إليه.

"وألا" للاستفتاح والعرض في قوله (ألا أعطيكم أفضل من ذلك)، وتدل على محبة الله لهم، وعلى التمهيد للبشرى القادمة والرضوان الأكبر، والاستفهام في قولهم: (وأي شيء أفضل من ذلك)، ليس للإنكار، ولكنه للاعتراف بالفضل والتعظيم لما نالوه من نعيم ونعم لا تعد ولا تحصى.

وأي بشرى أعظم من هذه البشارة الإلهية التي تتضوأ بالرحمة والمحبة والرضوان بقول الله لهم: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

وصياغة الأفعال في هذه المحاورة جاءت معظمها في قالب المضارع لأنها صورة مستقبلية تبشر الصالحين في كل زمان بما سيؤول إليه أمرهم، وبما سَيَمُن الله عليهم به من رحمة وفضل وكرم، ورحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: خطاب الله تعالى لأهل الجنة وسؤاله عن رضاهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: عطاء الله تعالى لأهل الجنة وسعادتهم ورضاهم واستشعارهم ذلك.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لأهل الجنة برضاه عنهم وإحلال رضوانه عليهم وعدم سخطه أبدًا.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن الله عز وجل يقول" والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يحمل من المعاني التي تحمل المدعو على الاستجابة لها، من التوثيق والأحكام والتقوية وتقرير الأمر وتثبيته في ذهن المخاطب[١]. وقد استخدم أسلوب التوكيد في كثير من تقرير القضايا وإيضاحها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد استخدام أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة" وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إقبال المدعو وملامسة النداء شغاف قلبه خاصة إذا قرن النداء بألقاب الرفعة والجمال والأسماء الحسان[٤]. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[٥] ولهذا النداء أهمية خاصة عند المؤمن، فالنداء للذين آمنوا بصفة الإيمان نداء

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ٤٢/١٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ٧.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

(٤) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث "فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب البارزة في الدعوة، ومن وسائل الأداء البياني الذي له أكبر الأثر في إيصال الدعوة إلى المدعوين والإيغال بها في قلوبهم، ومن فوائد هذا الأسلوب أنه يجعل المستمعين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: خطاب الله تعالى لأهل الجنة وسؤاله عن رضاهم:

ذلك ما أخبرنا به رسول الله ﷺ في الحديث "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول هل رضيتم" أي هل رضيتم بما أعطيتم من الكمال في الجنة الذي لا يعبر عنه لعظمته[٣]، كما جاء في الحديث: ((قال اللّه تَبارك وتعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤])).[٥] وخطاب الله وكلامه لأهل الجنة من الوان النعيم الإلهي لأهل الجنة والذي حرم منه غيرهم، والذين قال لهم الله تعالى: ﴿قَالَ

---

(١) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨، ٥٩.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٥.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[2] وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنهم لا يكلمهم فائدة أصلاً، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه "باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة" وساق فيه عدة أحاديث منها ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا))[4].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يومًا يحدث، وعنده رجل من أهل البادية: أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء. فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم))[5].

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٤.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥١٨، ومسلم ٢٨٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥١٩، ومسلم ٢٣٨٤.

فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: عطاء الله تعالى لأهل الجنة وسعادتهم ورضاهم واستشعارهم ذلك:

ذلك ما ورد في الحديث من جواب أهل الجنة لرب العزة والجلال "فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك" فقد نجاهم الله من النار وأدخلهم الجنة، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢] أي من جُنّبَ النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز[٣]. وذلك فضلاً من الله ورحمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنة . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلاّ أن يتغمَّدَني الله بفضل ورحمة))[٤] وفي الجنة ضمن الله لهم الحياة الأبدية والنعيم المقيم والصحة والعافية، وجعل صفات أهل الجنة كاملة من الشباب الذي لا يتغير أبدًا والملابس التي لا تبلى[٥]. وغير ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا وَأَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا. وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٦])) وفي رواية ((وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا))[٧].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٥) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٦٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٣٧.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لأهل الجنة برضاه عنهم وإحلال رضوانه عليهم وعدم سخطه أبدًا:

ذلك ما جاء في صريح قول الله في الحديث القدسي لأهل الجنة "ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا" (لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم، وفي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه[1]. ولذا كان تعبير القرآن بأن رضوان الله أكبر، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] فإن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم، وإنما يتهنأ له برضاه كما يتنغص عليه بسخطه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت[3]، وفي الآية إشارة إلى عظيم رضا الله تبارك وتعالى، ذكرها الطاهر بن عاشور فقال في قوله تعالى "ورضوان من الله أكبر" والتنكير في "رضوان" للتنويع، يدل على جنس الرضوان، وإنما لم يقرن بلام تعريف الجنس ليتوسل بالتنكير إلى الإشعار بالتعظيم، فإن رضوان الله تعالى عظيم، و"أكبر" تفضيل لم يذكر معه المفضل عليه لظهوره من المقام، أي أكبر من الجنات، لأن رضوان الله أصل لجميع الخيرات، وفيه دليل على أن السعادات الروحية أعلى وأشرف من الجسمانية[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٤٣٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠/٢٤٥.

(٤) التحرير والتنوير مج٥/١٠/٢٦٤، ٢٦٥.

لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾[١].

قال الطيبي: (قوله: "إن الذين آمنوا" أي بالله ورسوله محمد، صلوات الله عليه "وعملوا الصالحات" أي من بذل النفس في سبيل الجهاد للحق، وبذل المال في أعمال البر، مع القيام بفرائض العبادات، والإخلاص في سائر المعاملات. لأن إذعانهم الصحيح، ووجدانهم لذة معرفة الحق، ملكت الحق قيادهم. فعملوا الأعمال الصالحة، قاله الإمام "أولئك هم خير البرية" أي أفضل الخليقة. لأنهم بمتابعة الحق عند معرفته بالدليل القائم عليه، قد حققوا لأنفسهم معنى الإنسانية التي شرفهم الله بها. وبالعمل الصالح، قد حفظوا نظام الفضيلة الذي جعله الله قوام الوجود الإنساني، وهدوا غيرهم بحسن الأسوة إلى مثل ما هُدوا إليه من الخير والسعادة. فمن يكون أفضل منهم؟ قاله الإمام "جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار" أي بساتين إقامة، لا ظعن فيها، تجري من تحت أشجارها وغرفها الأنهار "خالدين فيها أبدًا" أي ماكثين على الدوام، لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها "رضي الله عنهم" أي بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلوصهم من عقابه في ذلك "ورضوا عنه" لأنهم بحسن يقينهم يرتاحون إلى امتثال ما يأمر به في الدنيا. فهم راضون عنه. ثم إذا ذهبوا إلى نعيم الآخرة، وجدوا من فضل الله ما لا محل للسخط معه، فهم راضوان عن الله في كل حال. أفاده الإمام.

"ذلك" أي هذا الجزاء الحسن وهذا الرضا "لمن خشي ربه" أي خاف الله في الدنيا، في سره وعلانيته، فاتقاه بأداء فرائضه واجتنابه معاصيه. فإن الخشية ملاك السعادة الحقيقية.

قال: أراد بهذه الكلمة الرفيعة الاحتياط لدفع سوء الفهم الذي وقع ولا يزال يقع فيه العامة من الناس، بل الخاصة كذلك. وهو أن مجرد الاعتقاد بالوراثة، وتقليد الأبوين، ومعرفة ظواهر بعض الأحكام، وأداء بعض العبادات، كحركات الصلاة وإمساك الصوم، مجرد هذا لا يكفي في نيل ما أعد الله من الجزاء للذين آمنوا وعملوا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

الصالحات. وإن كانت قلوبهم حَشْوُها الحسدُ والحقدُ الكبرياءُ والرياءُ. وأفواههم مِلْؤُها الكذب والنميمة والافتراء، وتهز أعطافهم رياحُ العجب والخيلاء. وسرائرهم مسكن العبودية والرق للأمراء. بل ولمن دون الأمراء. خالية من أقل مراتب الخشوع والإخلاص لرب الأرض والسماء. كلا لا ينالون حسن الجزاء. فإن خشية ربهم لم تحل قلوبهم. ولهذا لم تهذب من نفوسهم، ولا يكون ذلك الجزاء إلا لمن خشي ربه، وأشعر خوفه قلبه. والله أعلم[1].

---

(١) محاسن التأويل مج١٠/١٧/٢٢٥، ٢٢٦.

الحديث رقم (١٨٩٧)

١٨٩٧- وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: ((**إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ (عَيَانًا)**[1] **كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٦).

غريب الألفاظ:

تُضامُونَ: تُغْبَنُون، وتنقصون حقكم في رؤياه سبحانه وتعالى[3].

الشرح الأدبي

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾[4].

من هذا الحديث نقتبس بعضًا من أنوار التوجيهات النبوية، ونسبح في إشعاعات الشوق إلى رؤية الله سبحانه، وما أجله من شوق، وما أعظمه من فوز لا يحظى به إلا المقربون.

والحديث يصف مجلسًا من مجالس رسول الله ﷺ.. والقمر يتلألأ في السماء المرصعة بالنجوم، ويحكي جرير بن عبدالله ﷺ.. وتجيء حكايته من خلال الأفعال

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٧٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٤٤، ومسلم ١٠٦٧، وتقدم برقم ١٠٥٢.

(٣) الوسيط في (ض ي م).

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

الماضية التي تصلح للسرد (كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر... وقال) فالأفعال كنا.. فنظر.. وقال تفصح عن هذه الحكاية التي يسوقها الراوي للإصغاء إلى كلام رسول الله ﷺ، وهو يتأمل وجه القمر ليلة تمامه ثم يقرب الصورة إلى الحاضرين وإلى كل من يقرأ الحديث أو يستمع إليه، وقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته).

وكل كلمة من كلمات رسول الله ﷺ تعد مصباحًا تنتشر أشعته في أسماعنا وقلوبنا وأرواحنا ونفوسنا، فتضيء حياتنا، وتنير طريقنا، والتأكيد في قوله (إنكم) يدلل على أن رؤية الصالحين لربهم حقيقة لا شك فيها، وقيل: يرونه بالعين البصرية الشحمية يوم القيامة في الجنة، وذلك لأن الله يجعل لهم أبصارًا فيرون الباقي بالباقي.. ،الله أعلم، والتعبير بقوله: (سترون) يفصح عن استقبالية هذه الرؤية وأنها ستكون يوم القيامة، وقوله (عيانا) بكسر العين أي معاينة، وصيغة المغالبة للمبالغة في التجلي والظهور، والطرف الثاني من الصورة هو الأقرب للإدراك، وهو القمر، وهو المشبه به، والمراد من التشبيه هنا أو وجه الشبه: هو تشبيه في أصل الرؤية وكمال الظهور، لا من كل وجه فهي صورة تقريبية، والمشبه في هذه الصورة أقوى من المشبه به وهذا غير مألوف في بلاغة التشبيه، فالمشبه به دائمًا أقوى، ولكن في هذه الصورة المشبه هو رؤية الله يوم القيامة، وهي بلا شك أعظم في الجلاء والظهور من الكون كله، ولذلك قال رسول الله ﷺ كما ترون هذا القمر، أي كما ترون نوره قريبًا منكم لا تحجبه سحائب ولا غيوم.

وقوله: (لا تضامون عند رؤيته) إيحاء بأن رؤية الله عز وجل تقترن بالعز لا بالذل والضيم، وتقترن بالخير والإقدام وليس بالشر والإفحام، وهي في موقف الإعظام والإجلال، وكيف لا والمؤمنون في شرف رؤية الكبير المتعال.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٥٢ مع اختلاف بعض الألفاظ في الرواية المشار إليها.

الحديث رقم (١٨٩٨)

١٨٩٨- وعن صُهيب رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إذا دَخَلَ أهْلُ الجنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئًا أزِيدُكُمْ؟ فَيقولُونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ ألَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَى رَبِّهِمْ)) رواه مسلم[1].

قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فيها سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾[يونس: ٩ - ١٠].

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأزوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وعلى آلِ إبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إبراهيم في العالَمِينَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

ترجمة الراوي:

صُهَيْب بن سِنان الرومي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧).

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار بين أهل الجنة والعزيز الغفار، فأهل الجنة أُدْخِلُوها بسلام آمنين، ولهم ما يشاءون فيها ولدى الله المزيد لعباده الصالحين.

وما أجمل هذه البداية التي تعد تاجًا للنهاية، وإكليلاً فوق هام الذين اتخذوا الطاعة وسيلة وغاية، إن بداية الحديث تبدأ بأسلوب الشرط والجواب، والشرط هنا ليس عملاً معلقًا بالقبول أو الرفض، ولكنه عمل متوّج بالفلاح والفوز، إنه دخول

---

(١) برقم ٢٩٧/١٨١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٠ بتمامه.

الجنة.. وهو قمة الفلاح والنجاح في الدارين... فأي شرط هنا؟ إنه شرط متحقق وهو الفوز بالدخول، وتحقق القبول، وأين الجواب؟ إنه في ظاهر العبارة جوابه للشرط اللغوي، ولكنه في الحقيقة استقبال وتكريم، وتشريف وتعظيم، وكيف لا؛ وهو القول الصادر من العزيز الحكيم.

وأداة الشرط (إذا) هنا للتحقق.. ولكنها لا تضيف شيئًا إلا في بلاغة اختيارها، وحسن ملاءمتها لجاراتها، وإفصاحها عن ثمراتها وإشاراتها، وما أعظم هذا الجزاء الإلهي، والثواب الرباني حين يخاطب الله أهل الجنة وهو يستقبلهم ويحييهم، ثم يقول في استفهام تكريمي فيه إقرار بالنعيم: "تريدون شيئًا أزيدكم"، وحذفت أداة الاستفهام للإشعار بمزيد من العناية، والإسراع في تحقيق الرجاء والزيادة، وما أجمل هذه الإجابة التي تسري في جوانبها نسائم الشكر، وإيقاعات المحبة، حيث يقولون في صيغة استفهامية مغلفة بالاعتراف بالفضل.. ويكون الاستفهام للإعلان عن مزيد من الشكر والإجلال: (ألم تبيض وجوهنا؟) (ألم تدخلنا الجنة؟)، وهذا الاستفهام يتألق بالشكر والعطاء الذي منحوه، وفهموا أن لا مزيد على ما أعطوه، وفجأة تكون المكافأة الكبرى، والآية العظمى، فيكشف الحجاب، أي يكشف الله الحجاب، وحذف الفاعل مع بناء الفعل للمعلوم لأنه لا يكشف الحجاب إلا الله الذي يعلم السر وأخفى..، وهنا يكتشفون أن كل ما حصلوا عليه من نعيم، يظل صدى مضيئًا في نفوسهم، ولكنه لا يكافئ عطاء الرؤية، ولذة المشاهدة، وفيوضات القرب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ويقول صاحب دليل الفالحين في تعليل ختم الإمام النووي مصنفه بهذا الحديث؛ لأن ما تضمنه خاتمة الكرامة التي يُمْنَحُها الصالحون من مولاهم، فناسب الختم بالختام، فيكون فيه حسن الختام، منحنا الله مع كل المؤمنين رؤية ربنا عيانا يوم القيامة بفضله كما نرى القمر ليلة البدر، ولا حجبنا عن رؤيته بمنه وكرمه، آمين.. آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين بإدخالهم الجنة واستقرارهم فيها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى لعباده المؤمنين وسؤالهم عن رغبتهم في الزيادة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شكر المؤمنين لله تعالى على تبييض وجوههم ودخولهم الجنة ونجاتهم من النار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: كشف الحجاب عن أهل الجنة ورؤية الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية المسارعة إلى الجنة بالأعمال الصالحة وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين بإدخالهم الجنة واستقرارهم فيها:

إن من تجليات الله على عباده المؤمنين إدخالهم الجنة بفضله. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بصريح القول؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يُدْخِل أحدًا عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة...))[1]. وذلك المعنى جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة" وذلك الفوز العظيم، كما صرح بذلك القرآن، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2] قال الطاهر بن عاشور: (وإنما جمع بين "زحزح عن النار وأدخل الجنة" مع أن في الثاني غنية عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم الجنة، ومعنى "فقد فاز" نال مبتغاه من

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

الخير)[١]. وإذا ما استحضر الإنسان هذا النعيمَ المقيم، والفوزَ الأبدي فإنه ولابد أن يجتهد إليها ويتمسك بأسبابها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، قال أبو الفرج ابن الجوزي: والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها، من غير مرض، ولا بصاق، ولا نوم، ولا آفة تطرأ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة، لا يعتورها منغص في نعيم متجدد كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى، ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ها هنا، فوا عجبًا من مضيع لحظة فيها، فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى لعباده المؤمنين وسؤالهم عن رغبتهم في الزيادة:

ورد ذلك في قوله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟" وتكليم الله في حد ذاته وسؤاله لهم من ألوان إكرام الله لهم الذي حرم منه غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإن ذلك روح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به[٤]. وقد بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب التوحيد تحت عنوان: "باب كلام الرب مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث منها هذا الحديث، وكذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنَّ النبيَّ ﷺ كان يومًا يُحدِّثُ . وعِنْدَهُ رَجُلٌ من أهلِ

---

(١) التحرير والتنوير مج٢/٤/١٨٩.

(٢) صيد الخاطر ٤٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

البادية ـ أنّ رجُلاً من أهلِ الجنّةِ استأذَنَ ربّهُ في الزّرعِ، فقالَ لهُ: ألستَ فيما شِئْتَ؟ قالَ: بلى ولكنْ أُحِبّ أن أزْرَعَ. قالَ فبَذَرَ، فبادرَ الطّرْفَ نباتُهُ واستِواؤهُ واستِحصادُهُ، فكانَ أمثالَ الجبالِ. فيقولُ اللهُ: دُونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنّهُ لا يُشبِعُكَ شيءٌ. فقال الأعرابيّ: واللهِ لا تَجدُهُ إلاّ قُرَشيًّا أو أنصاريًّا، فإنّهُم أصحابُ زَرعٍ أما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضَحِكَ النبيّ ﷺ))[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شكر المؤمنين لله تعالى على تبييض وجوههم ودخولهم الجنة ونجاتهم من النار:

إن من فضل الله على عباده المؤمنين إسعادهم وإتمام النعمة عليهم، يظهر ذلك على وجوههم بتبييض الله له، وجوه أهل السعادة (الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه فكان جزاؤهم أن أدخلهم جناته وأفاض عليهم أنواع كرامته)[2] ومنها تبييض وجوههم كما جاء في الحديث فيقولون: "ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار" قال ابن علان: (حاصل جوابهم أنهم فهموا أن لا مزيد على ما أعطوا)[3]، فقد امتن الله عليهم بتبييض الوجوه في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[4] يعني يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[5]. وامتن عليهم الحق تبارك وتعالى بالنجاة من النيران والفوز بدخول الجنان، وذلك الفوز بعينه، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[6] قال ابن الجوزي: (قال ابن قتيبة: "فمن زحزح" أي نجى

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥١٩.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١١٢.

(٣) دليل الفالحين ص ١٨٦٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩٢/٢.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

وأبعد، "فقد فاز" قال الزجاج: تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز)[١]. وإنما جمع بين "زحزح عن النار وأدخل الجنة" مع أن في الثاني غنمة عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم الجنة)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: كشف الحجاب عن أهل الجنة ورؤية الله تعالى:

جاء ذلك في الحديث "فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم". قال القرطبي: (وقول من يسأله الله من أهل الجنة بقوله: "هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟" لا يليق بمن مات على كمال المعرفة والمحبة والشوق، وإنما يليقُ ذلك بمن مات بين الخوف والرجاء، فلما حصل على الأمن من الخوف، والظفر بالمرجو الذي كان تشوقه إليه قنع به، ولَهَا عن غيره، وأما من مات محبًا لله مشتاقًا لرؤيته، فلا يكون همّه إلا طلب النظر لوجهه الكريم لا غير، ويدل على صحة ما قلته أن المرء يحشر على ما يموت عليه، كما عُلم من الشريعة، بل أقولُ: إن من مات مشتاقًا لرؤية الله تعالى لا ينبه بالسؤال، بل يعطيه أمنيته ذو الفضل والإفضال، ومذهب أهل السنة بأجمعهم: أن الله تعالى ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بأبصارهم كما نطق بذلك الكتاب، وأجمع عليه سلف الأمة، ورواه بضعة عشر من الصحابة عن النبي ﷺ، ومنع ذلك فرقٌ من المبتدعة، منهم: المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة، بناءً منهم على أن الرؤية يلزمها شروط اعتقدوها عقلية، كاشتراط البنية المخصوصة، والمقابلة، واتصال الأشعة، وزوال الموانع من القرب المفرط، والبُعد المفرط، والحجب الحائلة، في خبطٍ لهم وتحكم، وأهل الحق لا يشترطون شيئًا من ذلك عقلاً سوى وجود المرئي، وأنَّ الرؤية إدراكٌ يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئيَّ، لكن يقترن بالرؤية بحكم جريان العادة أحوالٌ يجوز في العقل شرعًا تبدلها، والله أعلم)[٣].

(١) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، ١/٥١٧.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/١٨٩.
(٣) المفهم ١/٤١٣، ٤١٤.

قال ابن عثيمين في شرح هذا الحديث (ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة وأئمة الأمة، ولم ينكرها إلا من أعمى الله قلبه -والعياذ بالله- ولهذا كانت هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ، يقو ل الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] والتي فسرها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى ويشير الشيخ ابن عثيمين بذلك إلى الحديث الذي رواه مسلم وغيره بسنده عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ))[3]، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4]، فقوله "لا تدركه الأبصار" يدل على أن الأبصار تراه ولكنها لا تدركه، لأنه جل وعلا أعظم من أن تدركه الأبصار، فهذه خمس آيات في كتاب الله كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا ينكر هذا إلا ظالم، لأنه لا ينكر هذا إلا معاند، إذ أن الآيات واضحة، أما الأحاديث فإنها متواترة، كما قال الناظم:

مما تواتر: حديثُ من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

ورؤيةٌ وشفاعةٌ والحوض ... ومسحُ خفين وهذا بعض[5]

(١) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٩١٧.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية المسارعة إلى الجنة بالأعمال الصالحة وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما يعيشه أهل الجنة من نعيم مقيم، وزيادة على ذلك التيعم والتلذذ بالنظر إلى الحق تبارك وتعالى، لمن ادعى الأسباب إلى مسارعة العبد إليها بالأعمال الصالحات، وفي هذا الثواب والأجر والنعيم فليتسابق المتسابقون[1]. وقد جاءت النصوص الكثيرة الآمرة بالمسارعة إلى فعل الخيرات والإتيان بالطاعات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2] والسرعة المشتقة منها سارعوا، مجاز في الحرص والمنافسة إلى عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، فالمسارعة هنا تتعلق بأسباب المغفرة، وجيء بصيغة المبالغة للمبالغة والتأكيد[3]. وقال القرطبي: (المسارعة المبادرة أي سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة)[4] (فالبدارَ البدارَ يا أرباب الفهوم، فإن الدنيا معبر إلى دار إقامة، وسفر إلى المستقر، والقرب من السلطان ومجاورته، فلا يشغلنكم عن تضمير الخيل تكاسل، وليحملكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق، وليتذكر الساعي حلاوة التسليم إلى الأمين، وليتذكر في لذاذة المدح يوم السباق، وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه)[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٢/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/٨٨، ٨٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن مج٢/٢/١١٤.

(٥) صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٣٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

هذا آخر أبواب كتاب رياض الصالحين؛ فإذا كان المسلم قد التزم بما جاء عن النبي ﷺ في هذا الكتاب، فإنه يعيش في رياض الدنيا، كما أنه يعيش في الآخرة في رياض الجنة، فإن الصالحين في حياتهم الدنيوية والأخروية يعيشون في رياض مع ربهم، وإن كانت رياض الآخرة هي دار الجزاء الذي أعده الله لهم، يقول النووي عن سبب تأليف رياض الصالحين: " فرأيت أن أجمع مختصرًا من الأحاديث الصحيحة، مشتملًا علي ما يكون طريقًا لصاحبه إلي الآخرة، ومحصِّلاً لآدابه الباطنة والظاهرة، جامعا للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد ورياضات النفوس وتهذيب الأخلاق وطهارات القلوب وعلاجها وصيانة للجوارح وإزالة اعوجاجها وغير ذلك من مقاصد العارفين"[1] أي أن النووي بكونه جعل هذا الباب آخر باب في الرياض، يريد أن يذكر لمن أخذ نفسه والتزم بما جاء في أحاديث الرياض أن جزاءه هو الجنة التي جعلها الله تعالى لعباده الصالحين.

وهذا تصرف حسن وعمل طيّب: وهو ذكر ثمرة العمل الصالح والخالص لله رب العالمين، وهذا يلفت النظر في المجال التربوي إلى قضية بالغة الخطورة: وهي التربية على أن لكل عمل جزاءً: فجزاء الإحسان الإحسان، وجزاء السيئة السيئة. أن التربية على هذا المبدأ وهذه القيمة من الواجبات التي يجب أن يتربى عليها الناشئة وغيرهم، وذلك لما يلي:

(أ) أن هذا يدفعهم إلي أن يحسنوا العمل ويجتهدوا في ذلك، فلا يأتون من الأعمال إلا أحسنها ومن الأفعال إلا أجودها؛ لأنهم ما داموا يبغون الجزاء الأوفى فليقدموا ما يستحقون به ذلك، يقول الله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].

---

(١) مقدمة رياض الصالحين ٣٩ ط/ المكتب الإسلام.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٩.

(ت) أن هذا يهوّن عليهم كثيرًا من عقبات الطريق وعوائق المسير، فما دام بغية المؤمن الجنة ،فهو يتحمّل ويصبر ويرضى بما قد يقع له من ضيق أو شدة أو فقر أو حاجة أو ظلم لا يستطيع دفعه أو ضرر لا يمكنه إزالته، هو يصبر على هذا وقلبه منشرح؛ لأنه يعلم أن هذه الدنيا هي دار اختبار وعمل وهي زائلة مهما طالت؛ فكل ما فيها هيّن زائل رخيص إلا طاعة الله والتقرب إليه؛ لأن هذا هو ما يوصله إلى التنعم بجنته والخلود فيها.

(ج) أن انشغاله بالجنة وما يوصل إليها من عمل، يجعله ينشغل بمعالي الأمور وأرفعها، ويترك وراء ظهره توافه الأمور وصغائرها، غير نادم على ذلك ولا ملتفت؛ فإن كل طريق إلى الجنة يسلكه بكل جدٍّ وحماس، وكل طريق يبعده عنها يعرض عنه إعراضًا تامًّا، فإن نافسه أحد على الدنيا تركها له، وإن نافسه في الآخرة شدّ المئزر وشمّر عن سواعده حتى يسبقه ويتقدم عليه؛ وهذا يجعله يتسامح مع إخوانه وغيرهم ويتنازل عن بعض ما له عندهم، لا عن ضعف وخور، بل عن رغبة فيما عند الله؛ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1]، أي أن تعلق المسلم بالآخرة والجنة، يجعله يصرف نظره عن الناس إلي رب الناس؛ فيسعى في مرضاته وطاعته والخضوع له والاستسلام؛ وهذا يلزم عنه أن يكون حسن الأخلاق، كريم الشمائل، طيب النفس، سمحًا، خيره أكثر من شره.

والخلاصة أن تذكير المخاطبين بالجنة وما أعد الله فيها لعباده، يجعلهم يتشوقون إليها والعمل بما يوصلهم إليها والخلود فيها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].



(١) سورة الأعلى، آية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.